

(السنة الرابعة عشرة)

أكتوبر - ديسمبر ١٩٤٨

العدد الرابع

صحيفة دار العلوم

قصرها: جماعة دار العلوم
كل ثلاثة أشهر

رئيس التحرير
محمد علي مصطفى

المدير
محمد نجيب منانة

المراسلات الخاصة بالتحرير ترسل باسم رئيس التحرير
بنادى دار العلوم ٧٧ شارع الملكة نازلى

الاشتراكات والحوالات المالية

ترسل باسم أمين الصندوق

السماعي بيومى

وكيل كاية دار العلوم

مكتب بريد الدواوين

الاشتراك السنوى

٢٠ قرشاً	في القطر المصرى
٣٠ قرشاً	خارج القطر
٥ قروش	من العدد

إِنْ بَاحِثًا مَدَقَّقًا لَوْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ أَيْنَ تَمُوتُ
اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ وَأَيْنَ تَحْيَا لَوَجَدَهَا تَمُوتُ فِي كُلِّ مَكَازٍ
وَتَحْيَا فِي دَأْرِ الْعُلُوفِ

الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده

النقد في الأدب العربي

للمؤلف: السباعي بيومي

وكيل كلية دار العلوم

رابعاً - في العصر العباسي

٤ - العهد الرابع

من ٤٤٧ - ٦٥٦ هـ

وقع الخلفاء العباسيون في هذا العهد ، تحت قبضة السلاجقة الأتراك ، البعيدين عن تفهم اللغة وتذوق آدابها ، بعد آل بويه الأدباء بله الكتاب والشعراء ، فنال صورتى الأدب كتابته وشعره ، ضعف قلل من كمها وغض من جمالها ، وكان أنكى بالشعر منه بالكتابة ، لأن الشعر جمال يستغنى عنه فيما يستغنى ، إذا لم يجد المتذوقين النصراء ، في حين أن الكتابة من ضرورات الملك الحضري ، يضطر إلى الأبقاء عليها ذويه مرغمين ، وإن لم يفقهوا ما لها من حسن وجمال .

وقد تبع هذا التأثير في الأدب تأثر في النقد ، فقل رجاله وكسدت سوقه ، على أنا لانغمط في هذا العصر شخصيتين من شخصياته لم يكن منهما مكان في عالم النقد على أصول البلاغة ووحى الذوق ، هما عبد القاهر الجرجاني وابن الأثير الموصلي ، فقد كان أولهما في أوائل هذا العهد ، كما كان الآخر في أواخره ، علما في النقد ، ومناراً يهتدى به في طريقه .

فأما عبد القاهر فهو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني المتوفى

سنة ٤٧١ من كبار أئمة النحو واللغة ومؤسسى علوم البلاغة والنقد ، وله في هذه النواحي تأليف كثيرة ، منها في البلاغة والنقد كتاباه دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة ، وفي كليهما أبحاث شتى في النحو والفصاحة والشعر والبلاغة وما يتصل بهما من النقد والمحاكمة ، ويمكن اعتبارهما كتابا واحدا في علوم البلاغة الثلاثة من معان وبيان وبديع ، وفي النقد المبني على أصول هذه العلوم وعلى الذوق الأدبي التام النضوج ، وليس بالكتابين تمييز بين أبحاث كل علم من أبحاث الآخر ، حيث لم يلك ذلك التمييز قد تم إلى حيث هذا العهد لياني البلاغيين ، إنما تم تمامه على أيدي مناطقهم بعد وأغلبهم من الاعجام .

وأما ابن الأثير فهو أبو الفتح نصر الدين بن أبي الكرم محمد الشيباني المعروف بضياء الدين بن الأثير الموصلى أو الجزرى المتوفى سنة ٦٣٧ ، وهو شقيق عز الدين بن الأثير المؤرخ المتوفى قبله سنة ٦٣٠ ومجد الدين بن الأثير المحدث المتوفى قبلهما سنة ٦٠٦ ، وهناك ابن أثير رابع أديب بعد هؤلاء الثلاثة هو عماد الدين بن الأثير أحد شراح قصيدة ابن زيدون وقد توفى سنة ٦٩٩ ، ولابن الأثير موضوع كلامنا مؤلفات في البلاغة والأدب والنقد أهمها كتاب « المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر » .

وبعد فهنا نحن أولاء مقدمون بين يديك كلمة عن كل من عبد القاهر وابن الأثير تشرح مبيعه في النقد الأدبي ، الأول في كتابيه - أو كتابه - دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة ، والثاني في كتابه المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر ، إن شاء الله .

عبد القاهر

في كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة

تناول عبد القاهر في كتابيه السابقين - الدلائل والأسرار - موضوعات شتى تتصل بالنقد الأدبي على قرب ، وأخرى أشت تتصل به من بعد ، مشاركا في بعض الأولى الناقدين الكبيرين قبله الجرجاني والآمدي ، ومختصا دونهما ببعضها الآخر ، أما التي تتصل بالنقد من بعد فقد استأثر بها دونهما ، لأنها من الصور البلاغية التي يتحاكم إليها النقاد في كثير الأحيان ، وهو للبلاغة صنف كتابيه المذكورين ، وإليك كلمة موجزة أو إشارة عابرة عما عرض له تنبيه عن أسلوبه في النقد ومكانته فيه : -

١ - تعرض عبد القاهر أول ما تعرض في الدلائل - بعد حفضه على رواية الشعر وعييه من زهدوا فيه ، وتعرض لمسألة هامة هي أن نظم الكلام يتوقف على التركيب النحوي وفند من أنكروا على النحو ذلك ، ترى هذا منه في الصفحات ١٣ ، ٣٩ ، ٤٣ ، ٦٠ وما يلي هذه الصفحات في كثير أو قليل ، وكان من أبين قوله في ذلك ما جاء في الصفحة الستين حيث يقول مما قال ، « واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوافينه وأحواله ، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تريغ عنها ، وتحفظ رسومه التي رسمت فلا تخل بشيء منها ، وذلك أنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه ، غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه ، ينظر في الخبر إلى الوجوه التي يراها في قوله ، زيد منطلق وزيد ينطلق وينطلق زيد وأنطلق زيد وزيد المنطلق والمنطلق زيد وزيد هو المنطلق وزيد هو ينطلق . وفي الشرط والجزاء إلى الوجوه التي يراها في قوله ، إن تخرج أخرج وإن خرجت خرجت وإن تخرج فأنا خارج وأنا خارج إن خرجت وأنا إن خرجت خارج . وفي الحال إلى الوجوه التي يراها في قوله جاءني زيد مسرعا وجاءني يسرع ،

وجاءني وهو مسرع وجاءني وهو يسرع وجاءني قد أسرع وجاءني وقد أسرع، فيوف لكل من ذلك موضعه حيث ينبغي له. وينظر في الحروف التي تشترك في معنى ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصه في ذلك المعنى، فيضع كلام ذلك في خاص معناه، نحو أن يجيء بما في نفي الحال وبلا إذا أراد نفي الاستقبال وبأن فيما يترجح بين أن يكون وألا يكون. وينظر في الجمل التي ترد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل، ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع الواو من موضع الفاء، وموضع الفاء من موضع ثم أو من موضع أم وموضع لكن من موضع بل. ويتصرف في التعريف والتكثير والتقديم والتأخير في الكلام كله، وفي الحذف والتكرار والأضمار والأظهار، فيضع كلام ذلك موضعه ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له. هذا هو السبيل، فلست بواجد شيئاً يرجع صوابه إن كان صواباً وخطؤه إن كان خطأ إلى النظم ويدخل تحت هذا الاسم، إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه ووضع في حقه، أو عومل بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه واستعمل في غير ما ينبغي له، ولست ترى كلاماً قد وصف بصحة نظم أو فساده أو وصف بمزية وفضل فيه، إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد، وتلك المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه، وتجد يدخل في أصل من أصوله ويتصل بباب من أبوابه.

وبعد أن قرر هذا أخذ يسرد الشواهد على ذلك في ناحيتي الفساد والصحة والنقص والفضيلة، فذكر عدة أبيات لفحول الشعراء قد فسد نظمها لسوء تأليفها، ثم خرج من ذلك يقول مدلاً على الحسن، وإذا قد عرفت ذلك فاعمد إلى ما نواصفوه بالحسن وتشاهدوا له بالفضل لأجل النظم خصوصاً دون غيره، من معنى لطيف أو حكمة أو أدب أو استعارة أو تجنيس أو غير ذلك مما لا يدخل في النظم، وتأمله فإذا رأيتك قد ارتحت واهتزت واستحسنيت، فانظر إلى حركات الأريحية لأمم كانت وعندما إذا ظهرت فانك ترى عياناً أن الذي قلت لك كما قلت، اعمد إلى قول البحيري:

بلونا ضرائب من قد ترى فما إن رأينا لفتح ضربيا
هو المرء أبدت له الحادئا ت عزمنا وشيكاورأيا مصيا
تقل في خلقى سودد سماخا مرجى وبأسا مهيا
فكالسيف إن جثته صارخا وكالبحر إن جثته مستثيا

فإذا رأيتها قد راققتك وكثرت عندك ، ووجدت لها اهترازا في نفسك
فبعد فانظر في السبب واستقص في النظر فانك تعلم ضرورة أن ليس إلا أنه قدم
وأخر وعرف ونكر وحذف وأضمر وأعاد وكرر وتوخى على الجملة وجهان من
الوجوه التي يقتضيها علم النحو ، فأصاب في ذلك كله ثم لطف موضع صوابه
وأثنى ما لا يوجب الفضيلة ، أفلا ترى أن أول شيء يرد قلبك منها قوله ، هو
المرء أبدت له الحادئات بالبدء بالضمير ، ثم قوله تنقل في خلقى سودد
بتنكير السودد وإضافة الخلقين اليه ، ثم قوله فكالسيف وعطفه بالباء مع
حذفه المبتدأ ثم تكريره السكاف في قوله وكالبحر ثم أن قرن إلى كل واحد
من التشبيهين شرطا جوابه فيه ، ثم أن أخرج من كل واحد من الشرطين
حالا على مثال ما أخرج من الآخر . وبعد أن صنع مثل هذا الصنيع
في أبيات لآبراهيم بن العباس ، قال ، وهكذا السيل أبدا في كل حسن ومزية
رأيتهما قد نسبا إلى النظم ، وفضل وشرف أحيل فيهما عليه .

٢- - وتعرض كذلك لنظرية هامة طال فيها الاخذ والرد بين رجالات
الأدب والبلاغة ، هي نظرية اللفظ والمعنى أيهما ترجع إليه مزية الكلام
مفردا وإذا رجعت إليهما معا فما علاقة كل بصاحبه ، وأيهما في هذه الحالة
أوفى قسطا وأوفر حظا ، فقرر فيما قرر أن العبرة بالمعنى من حيث دلالة اللفظ
عليه لا باللفظ في ذاته ، وأفاض في ذلك أيما أفاضة بالصفحات ٢٤ ، ٣٧ ،
١٨٦ ، ٢٥٧ ، ٢٩١ ، ٢٤٥ ، ٢٧٢ من الدلائل ، وكثرا ما سلخ بعد الصفحة
صفحات في الكلام ، وهاتان نبذتان اثنتان .

فأما إحداها فقد قرر فيها النظرية ذاتها وهي :

فقد اتضح إذن اتضاحا لا يدع للشك محالا أن الإلفاظ لا تتفاضل من

حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفردة ، وأن الألفاظ تثبت لها
الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما
لا تعلق له بصريح اللفظ ، وبما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروك وتونسك
في موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوخشك في موضع آخر ،
وبعد أن مثل لذلك بحسن كلمة أخدع في قوله الخامس :

تلفت نحو الحى حتى وجدتني وجعت من الأصغاء ليتا وأخذنا
وقبحها في قول أبى تمام :

يا دهر قوم من أخدعك فقد أضججت هذا الأنا من خرقك
وكذا حسن كلمة شيء في قول أبى حية :

إذا ما تقاضى المرء يوم وليلة تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا
وسخفها في قول المتنبي :

لو الفلك الدوار أبغضت سعيه لعوقه شيء عن الدوران

قال فلو كانت الكلمة إذا حسنت حسنت من حيث هي لفظ وإذا
استحقت المزية والشرف استحقت ذلك في ذاتها وعلى انفرادها دون أن
يكون السبب في ذلك حالها مع أخواتها المجاورة لها ، لما اختلفت بها الحال
كما رأيت ولكانت إما أن تحسن أبداً أو لا تحسن أبداً . . .

وأما الأخرى فقد ساقها دفعا لشبهة قد يعرضها معارض في رأيه وهي أن
يشبه الحكم في ضم بعضها إلى بعض بضم الناسج غزل الإبر يسم بعضه إلى
بعض دون نظر إلى شيء غير هذا الضم من المعاني التي يجب في نظر عبد القاهر
أن تكون الموجهة في التأليف ، وذلك حيث يقول : « فساد هذا وشبهه
أن هاهنا استدلالا لطيفا تكثر بسببه الفائدة ، وهو أن يتصور أن يعمد عامد
إلى نظم كلام بعينه فيزيله عن الصورة التي أرادها الناظم له ويفسدها عليه ،
من غير أن يحول منه لفظا عن موضعه أو يبدله بغيره أو يغير شيئا من ظاهر
أسره على حال ، مثال ذلك أنك إن قدرت في بيت أبى تمام من وصف القلم
لعاب الإفاعى القاتلات لعابه وأرى الجنى اشتارته أيد عواسل

أن لعاب الأفاعى مبتدأ ولعابه خبر كما يوهمه الظاهر ، أفستد عليه كلامه ، وأبطلت الصورة التي أرادها فيه ، وذلك أن الغرض أن يشبه مداد القلم بأرى الجنى على معنى أنه إذا كتب في العطايا والصلات أوصل إلى النفوس ما تحلو مذاقته عندها وأدخل السرور واللذة عليها ، وهذا المعنى إنما يكون إذا كان لعابه مبتدأ ولعاب الأفاعى خبراً ، فلما تقدرك العكس فانه يبطل ذلك ويمنع منه ألبته ويخرج الكلام إلى ما لا يجوز أن يكون مراداً في مثل غرض أن تمام ، وإذن قلوا كان جال الكلام في ضم بعضها إلى بعض كحال غزل الأبريسم لكان ينبغي ألا تتغير الصورة الحاصلة من نظم كلم حتى تزال عن مواقعها ، كما لا تتغير الصور الحادثة عن ضم الأبريسم بعضه إلى بعض حتى تزال الخيوط عن مواضعها .

٣- وعرض للذوق يجعله الركن الركين في التحاكم والأصل الأصيل في إدراك القيم والمزايا ، عرض له عرضاً غير مخصص في مواضع تعي الحصر ، وتعرض له قاصداً ومخصصاً في موضعين من الدلائل شغل أحدها الصفحات ٢٠٧ - ٢١٢ وسود الآخر الصفحات ٣٩٣ - ٤٠٢ ، فكان مما قال في الأول ، بعد أن تكلم طويلاً عن اللفظ والنظم ، وبخاصة عن المزايا والفضائل ، « أعلم أنه لا يصادف القول في هذا الباب موقعا من السامع ولا يجد لديه قبولا ، حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة ، وحتى يكون ممن تحدثه نفسه بأن لما يوهى إليه من الحسن واللاطف أصلا ، وحتى يختلف الحال عليه عند تأمل كلام ، فيجد الأريحية تارة ويعرى منها أخرى ، وحتى إذا عجبته عجب ، وإذا نبهته لموضع المزية انتبه ، فأما من كان الحالان والوجهان عنده أبداً على سواء ، وكان لا يتفقد من أمر النظم إلا الصحة المطلقة وإلا إعراباً ظاهراً ، فما أقل ما يجدى الكلام معه ، فليكن من هذه صفته عندك بمنزلة من عدم الاحساس بوزن الشعر ، والذوق الذي يقيمه به والطبع الذي يميز صحيحه من مكسوره ومزاحفه من سالمه وما خرج من البحر بما لم يخرج منه ، في أنك لا تصدى له ولا تتكلف تعريفه ، لعلمك أنه قد

عدم الاداة التي منها يعرف والحاسة التي بها يجد ، وليكن قدحك في زند وار
والحك في عود أنت تطمع منه في نار . . . »

وكان مما قال في الثاني يعنى الاحساس بالمزية عن طريق الذوق « إن هذا
الاحساس قليل في الناس ، حتى إنه ليكون أن يقع للرجل الشيء من هذه
الفروق والوجوه في شعر يقوله أو رسالة يكتبها الموقع الحسن ، ثم لا يعلم
أنه قد أحسن ، فلست تملك إذن من أمرك شيئاً حتى تظفر بمن له طبع إذا
قد حته ورى وقلب إذا أريته رأى ، فأما وصاحبك لا يرى ما تريه ولا
يهتدى للذى تهديه ، فأنت رام منه في غير مرمى ومعن نفسك في غير جدوى ،
وكما لا تقيم الشعر في نفس من لا ذوق له ، كذلك لا تفهم هذا الشأن من لم
يؤت الآلة التي بها يفهم . إلا أنه إنما يكون البلاء إذا ظن العادم له أنه أوتىها وأنه
من يكمل للحكم ويصح منه القضاء ، فجعل يقول القول لو علم غيه لاستحيا منه ،
فأما الذى يحس بالنقص من نفسه ويعلم أنه قد علم علماً قد أوقى أكثر
منه سواه ، فأنت مبه في راحة ، وهو رجل عاقل قد حماه عقله أن يعدو
طوره وأن يتكلف ما ليس بأهل له . . . »

وبما يذكر في هذا الموطن فضلاً لعبد القاهر على زميليه الأمدى والجرجاني ،
أنه لم يرض الوقوف عند إحساس الذوق بمكان المزية والحسن دون المضى
في تعرف العلة والسبب ، فضى طموحاً إلى هذا التعرف طامعاً أن يصل منه
إلى الكثير وإن أعياه القليل ، استمع إليه يقول في هذا الموضع مما قال ،
حين ذكر عادى الاحساس بالذوق يذكر هؤلاء الزاهدين في تقصى العلة
والبحث ، « واعلم أن هؤلاء وإن كانوا هم الآفة العظمى في هذا الباب ، فإن
من الآفة أيضاً من زعم أنه لا سبيل إلى معرفة العلة في قليل ما تعرف المزية
فيه وكثيرة ، وأن ليس إلا أن تعلم أن هذا التقديم وهذا التnskير أو هذا
العطف أو هذا الفصل حسن ، وأن له موقعا من النفس وحظاً من القبول ،
فأما أن تعلم لم كان ذلك وما السبب ، فما لا سبيل إليه ولا مطمع في الاطلاع
عليه ، فهو بتوانيه والكسل فيه في حكم من قال ذلك » واعلم أنه ليس إذا لم

يمكن معرفة الكل وجب ترك النظر في الكل ، ولأن تعرف العلة والسبب فيما يمكنك معرفة ذلك فيه وإن قل ، فتجعله شاهداً فيما لم تعرف ، أخرى من أن تسد باب المعرفة على نفسك ، وتأخذها عن الفهم والتفهم وتعودها الكسل والهويني

٤ - وتناول فيما تناول السرقة والموازنة وهما من واد واحد ، فأما السرقة فقد تناولها في موضعين اثنين من الأسرار وقع أولها في الصفحات ٢١٣ - ٢٥٩ ووقع الآخر في الصفحات ١٧٤ - ٢٨٣ .

- تنكلم في الأول على المعاني من حيث قابلية بعضها أن يكون موضع أخذ وعدم قابلية بعضها الآخر . فقال إن من المعاني ما هو عقلي ومنها ما هو تخيلي ، فالعقلي هو الذي يقال إنه صدق فما أثبتته ثابت وما نقاه منفي ، وأكثر هذا منتزع من القرآن والحديث وكلام الصحابة ومأثور الساف من الأمثال السائرة والحكم القديمة كقول القائل « يعني ابن الرومي » .

وما الحسب الموروث لادر دره بمحتسب إلا بأخر مكتسب

وقول محمد بن الربيع الموصلي :

ووزن كل امرئ ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء

وقول المتنبي :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

وقوله أيضاً :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

وموضع الندى في موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف في موضع الندى

ونحو هذا من المعاني الصريحة التي يشهد لها العقل بالصحة ، وتتفق العقلاء

على الأخذ بها في كل جيل وأمة ، ويوجد لها أصل في كل لسان ولغة ،

ومثل هذا النوع على إطلاقه إذا اشترك فيه شاعر وشاعر لا يقال فيه إن

هذا سرق من ذاك . أما التخيلي فهو ما كان على العكس من ذلك ،

وهو كثير المسالك مفتن المذاهب لا يكاد يحصر . فنه ما يتألف في صنعته حتى يعطى شبيها من الحق ويغشى رونقا من الصدق كقول أبي تمام :
لا تنكرى عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي
وكقول الآخر في الشيب :

الشيب كره وكره أن يفارقني أعجب بشيء على البغضاء مودود
ومنه ما يعمدون إليه حين يريدون تفضيل شيء أو تنقيضه ومدحه أو
ذمه ، من نقل بعض صفات غيره تشاركه وليست سبب الفضيلة والنقيصة ،
كقول البحرى في الشيب أيضا :

وبياض البازي أصدق حسنا إن تأملت من سواد الغراب
وكذلك قوله فيه :

والصارم المصقول أحسن حالة يوم الوغى من صارم لم يصقل
ومنه ما يعمدون فيه إلى الوصف الذى هو خلقه في شيء فيجعلونه قد
حصل له من الممدوح كقول ابن بابك :

ألا يا رياض الحزن من أبرق الحمى نسيمك مسروق ووصفك منتحل
حكيت أبا سعد فزرك نشره ولكن له صدق الهوى ولك الملل
ومنه أن يدعى في الصفة الثابتة للشيء أنها كانت لعلة يختلفها الشاعر
كقول المتنبي :

لم يحك نائلك السحاب وإنما حمت به فصليها الرضاء
وهذا النوع الأخير كثير جداً وقد مثل له ولما يشبهه بعشرات الأمثلة .
وقريب من هذا أن يكون لمعنى من المعانى أو فعل من الأفعال علة
مشهورة عن طريق الطبع أو العادة فيمنع الشاعر تلك العلة ويضع له أخرى
ليست بعلة كقول المتنبي :

ما به قتل أعاديته ولكن يتقى إخلاف ما ترجو الذئاب
وقول أبي طالب المأمونى :

لا ينوق الأغفاء إلا رجاء أن يرى طيف مستميج رواح

وليس من وادى هذا البيت الأخير في الطيف قول القائل فيه .
 وإني لأستغشى وما بي نعمة لعل خيالا منك يلقى خيالها
 إذ أن من الحقيقة أن المغرم قد ينام إذا بعد عهد حبيبته به ليرى طيفه :
 ومن التخيل ما قد يترك فيه التحليل تناسيا للتشبيه كأن الكلام على
 الحقيقة كقول البحترى :

طلعت لهم وقت الشروق فعانوا سنا الشمس من أفق ووجهك من أفق
 وما عانوا شمسين قبلهما التقى ضياؤها وفقا من الغرب والشرق
 ولهذا النوع غزارة مستفيضة ذكر منها عبد القاهر السكير، وماله طبقة
 عالية فيه قول الفرزدق :

أبى أحد الغيثين صعصعة الذى متى تخلف الجوزاء والدلو يطر
 أجار بنات الوائدين ومن يجر على الموت تعلم أنه غير مخفر
 إلى غير هذه الأنواع مما يجد الشاعر فيه عن طريق التخيل سيلا إلى أن
 يبدع. ويزيد، ويبدىء في اختراع الصور ويعيد، ويصادف مضطربا كيف
 شاء واسعا، ومددا من المعاني متتابعا، ويكون كالمخترف من غدير لا ينقطع،
 والمستخرج من معدن لا ينتهى، وفيها تنأى السرقة ويكون الأخذ .

وتكلم في الموضوع الثانى عن حقيقة السرقة فقال، إذا اتفق الشاعران،
 لم يخل ذلك من أن يكون في الغرض على الجملة والعموم كوصف الممدوح
 بالشجاعة والسخاء أو وصف الفرس بالسرعة أو ما جرى هذا الجرى،
 أو يكون في وجه الدلالة على ذلك الغرض، بأن يذكر ما يستدل به على إثبات
 تلك الصفات، كوصف الرجل حال الحرب بالابتسام - ثم قال - فأما الاتفاق
 في عموم الغرض فلا يكون الاشتراك فيه داخلا في الأخذ والسرقة، لعمومه
 وتساوى الناس في معرفته، والا فن يجعل أحد الشعارين عيالا على الآخر
 في تصور معنى الشجاعة وأنها بما يمدح به، وأن الجهل ما يذم به، وأما
 الاتفاق في وجه الدلالة، فإن كان مما اشترك الناس في معرفته لاستقراره في
 العقول أو العادات، كان حكمه حكم العموم الذى تقدم ذكره كالتشبيه بالأسد

في الشجاعة وبالبحر في السخاء وبالبدن في البهاء وهكذا، وإن كان ما لا ينتهي إليه المتكلم إلا بنظر وتدبر ولا يناله إلا بطلب واجتهاد، بأن كان من دونه حجاب يحتاج إلى خرق بالنظر، وعليه كم يقتقر إلى شق بالفكر، أو كان درا في قاع بحر يحتاج إلى الغوص، أو تمتعنا في شاق يتطلب الصعود، أو كما كنا كالنار في الزند لا تظهر إلا بالقدح، أو مشابكا لغيره كعروق الذهب لا تنال إلا بالحفر والفصل، فهذا هو الذي يدعى فيه الاختصاص والسبق، ويجعل فيه سلف وخلف ومفيد ومستفيد، فيقضى بين القاتنين فيه بالتفاضل والتباين، وأن أحدهما زاد على الآخر أو نقص.

على أن الأول الذي وسم بالمشارك العامى، والذي ألحق به من الثانى وهو الظاهر الجلى قد يكونان كهذا الأخير محل سرقة وأخذ إذا لحقتهم صفة وعمل فيهما نقش عن طريق السكناية والتعريض أو الرمز والتلويع، كقول القائل مادحا:

إن السحاب لتستحي إذا نظرت إلى نذاك فقاسته بما فيها
وكقول الآخر ذاما:

يا حاجب الوزراء إنك عندهم سعد ولسكن أنت سعد الذابج
ومن عجيب هذا قول ابن المعتز يذم القمر:

يا سارق الأنوار من شمس الضحى يا مشكلى طيب الكرى ومنغصى
أما ضياء الشمس فيك فناقص وأرى حرارة نارها لم تنقص
لم يظفر التشبيه منك بطائل متسلخ بهقا كون الأبرص

فقد حول صفات الجمال فيه إلى قبح وعكسه من تحويل صفات القبح إلى جمال ما جاء في مرثية أبي الحسن لابن بقية حين صلب، ومطلعها

علو في الحياة وفي الممات لحق تلك إحدى المعجزات
فقد قلب جملة ما يتسكّر من أحوال المصلوب إلى خلافها بتأويلات ترى فيها وبها العجب.

أما الموازنة فقد تناولها في موضع واحد من الدلائل سود فيه الصفحات ٣٧٧ - ٣٨١ وهذا تصوير لما أتى به هناك : -

بدأ ما كتب بقوله « وقد أردت أن أكتب جملة من الشعر الذي أنت ترى الشعارين فيه قد قالوا في معنى واحد ، وهو ينقسم قسمين ، قسم أنت ترى أحد الشعارين فيه قد أتى بالمعنى غفلا ساذجا ، وترى الآخر قد أخرجه في صورة تروق وتعجب ، وقسم أنت ترى كل واحد من الشعارين قد صنع في المعنى وصور . وأبدأ بالقسم الأول الذي يكون المعنى في أحد البيتين غفلا وفي الآخر مصورا مصنوعا . ويكون ذلك إما لأن متأخرا قصر عن متقدم ، وإما لأن هدى متأخرا لشيء لم يهتد إليه المتقدم ، قال ذلك ثم أورد لهذا القسم ستة وثلاثين مثالا ، منها في النوع الذي قصر فيه المتأخر عن المتقدم قول البحترى .

إذا محاسنى اللاتي أدل بها كانت ذنوبى فقل لى كيف أعتذر
مع قول أبى تمام :
لئن كان ذنبى أن أحسن مطلبى أساء ففى سوء القضاء لى العذر
وقول أبى تمام :
تدعى عطاياه وفراوهى إن شهرت كانت فخارا لمن يعفوه مؤتفا
مع قول أمية بن أبى الصلت :
عطاؤك زين لامرئى إن أصبته بخير وما كل العطاء يزين
وقول المتنبى :
راميات بأسهم ريشها الهدى ب تشقى القلوب قبل الجلود
مع قول كثير :
رمتنى بسهم ريشه السكحل لم يحزن ظواهر جلدى وهو فى القلب جارح
ومنها فى النوع الذى هدى فيه المتأخر لشيء لم يهتد إليه المتقدم
قول المتنبى :

إذا اعلى سيف الدولة اعلمت الأرض ومن فوقها والبأس والكرم المحض

مع قول البحترى :
 ظللنا نعود الجود من وعكك الذى وجدت وقلنا اعزل عضو من المجد
 وقول المتنبي :
 وليس يصح فى الأذهان شئ إذا احتاج النهار إلى دليل
 مع قول أبى تمام :
 الصبح مشهور بغير دلائل من غيره ابتغيت ولا أعلام
 وقول خالد الكاتب :
 زدت ولم ترث للساھر وليل الحب بلا آخر
 مع قول بشار :

تهبت تراعى النجم ترجو نفاذه وليس لليل العاشقين نفاذ
 أما القسم الثانى فقد صدره بقوله « ذكر ما أنت ترى فيه فى كل واحد من
 من البيتين صنعة وتصويرا وأستاذية على الجملة » ثم أورد له عشرين شاهدا ،
 ذكر لاخيرها وكان فى وصف الشعراء الشعر وعمله وإدلالهم به ، عشرين
 مثلا ، وعقب على بعضها تعقيبا طال أو قصر على العكس فى شواهد القسم
 الأول الذى تركه بغير تعقيب بل ولا تمييز بين نوعيه .

من ذلك قول رجل من الخوارج أتى به الحجاج فى جماعة من أصحاب
 قطرى فقتلهم ومن عليه ، فلما عاد إلى قطرى قال له عاود قتال عدو الله فقال :

أأقاتل الحجاج عن سلطانته يبد تقرر بأنها مولاته
 ماذا أقول إذا وقعت إزاه فى الصف واحتجت له فعلاته
 وتحدث الأقبام أن صنائعا غرست لدى فخطلت نخلاته
 مع قول أبى تمام

أسر بل هجر القول من لو هجوته إذن لهجاني عنه معروفه عندى
 فن هذا الذى ينظر الى بيت الخارجى وبيت أبى تمام فلا يعلم أن صورة
 المعنى فى ذلك غير صورته فى هذا ، كيف والخارجى يقول « واحتجت له
 فعلاته » ويقول أبو تمام « إذن لهجاني عنه معروفه عندى » ومتى كان احتج
 وهجا واحدا فى المعنى .

ومنه مما ذكره القاضي أبو الحسن ، فيما ذكر فيه تناسب المعاني ،
بيت أبي نواس

خليت والحسن تأخذه تنلقى منه وتنتخب
وبيت عبد الله بن مصعب

كأنك جئت محتكماً عليهم تخير في الأبوة ما تشاء
وذكر أنهما معاً من بيت بشار
خلقت على ما في غير مخير هواي ولو خيرت كنت المذبذب
والأمر في تناسب هذه الثلاثة ظاهر ، ثم إنه ذكر أن أبا تمام قد تناوله
فأخفاه حيث قال :

قلو صـورت نفسك لم تزدها على ما فيك من كرم الطباع
ومنه مما ذكره في وصف الشعر قول أبي تمام

إليك أرحنا عازب الشعر بعد ما تمهل في روض المعاني العجائب
غرائب لاقت في سمائك أنسها من المجد فهي الآن غير غرائب
ولو كان يقف الشعر أفناه ماقرت حياضك منه في السنين الذواهب
ولكنه صوب القول إذا انجالت سجائب منا أعقبت بسجائب
مع قول البحتری

أيذهب هذا الدهر لم ير موضعي ولم يدر ما مقدار حلي ولا عقدي
ويكسد مثلي وهو تاجر سؤدد يبيع ثمينات المكارم والمجد
سواثر شعر جامع بدد العلا تعلقن من قبلي وأتعبن من بعدي
يقدر فيها صانع متعمل لأحكامها تقدير داود في السرد
هذا وقد جرت لعبد القاهر موازات لمناسبات كثيرة في مواضع شتى ،
من ذلك ما ذكره بين قول سعيد بن حميد .

وعند البدر بالزيارة ليلاً فإذا ما وفي قضيت ندوري
قلت يا سيدي ولم تؤثر الليل على بهجة النهار المنير
قال لي لا أحب تغيير رسمي هكذا الرسم في طلوع البدور

وقولهم في ضد ذلك :

قلت زورى فأرسلت أنا آتيتك سحره
قلت فالليل كان أخفى وأدنى مصره
فأجابت بحجة زادت القلب حسره
أنا شمس وإنما تطلع الشمس بكرة
وينبغي أن تعلم أن هذه القطعة ضد الأولى من حيث اختار النهار وقتاً
للزيارة في تلك ، والليل في هذه ، فاما من حيث يختلف جوهر الشعر ويتفق فتل
وشبيه وليس بضد ولا نقيض .

٥ - وتناول الاستعارة وحدها أو معها غيرها كثيراً ، وكان ذلك منه
في ثلاثة مواضع من الأسرار هي ٢٠ - ٦٥ ، ١٩٢ ، ٢١٣ ، ٢٦٠ - ٢٧٤
ومثلها بالدلائل هي ٥١ - ٦٥ ، ٣١٣ - ٣٢٣ ، ٣١٨ - ٣٣٤ ، وكان مما
دونه في ذلك ما نعتبر عنه بالآتي :

قال في تعريف الاستعارة ، « اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ
الأصل في الوضع اللغوي معروفاً تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع ،
ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه فيكون
هناك كالمعارية ، غير أنه جعل منها قسماً لا يكون للنقل فيه فائدة ، وعرفه بأنه
ما وقع عن طريق التوسع اللغوي في الأسماء التي اختلفت باختلاف أنواع
الحيوان كالشفة للإنسان والمشفر للبعير والجحفة للفرس مثلاً حيث يستعمل
لفظ من هذه مكان آخر كقول الراجز يحمل صوت الماء في أعناق الابل
وهي تشرب كصوت الخمار .

تسمع للماء كصوت المسجل بين ورديها وبين الجحفل
وعرف المفيد بأنه ما كان للنقل فيه فائدة تكشف عن معنى من المعاني
وغرض من الأغراض ، وقد عني بهذا القسم حتى اعتبره الاستعارة في الحقيقة
على ما نسب إلى آخر القول وجعله نوعين ، نوع تقع الاستعارة فيه عن نقل
اللفظ عن معناه الأصلي إلى معنى آخر يجرى عليه كقولك « كلمتنا ظلية » وأنت

تعني امرأة ، ونوع يبقى اللفظ فيه على حقيقةه ولكنه يوضع موضعاً ليس له كيد المسندة للشمال في قول لبيد :

وغداة ربح قد كشفت وقرة قد أصبحت بيد الشمال زمامها
كأنه يريد أن يشير بالنوعين إلى ما أفصح عنه بعد من التصريح والتسكين ،
وأخذ يفرع من ذلك ضرباً بدرجتها من الضعف إلى القوة . منها أن يرى معنى
الكلمة المستعارة موجوداً في المستعار له من حيث عموم جنسه على الحقيقة ،
إلا أن لذلك الجنس خصائص ومراتب في الفضيلة والنقص ، فأنت تستعير
لفظ الأفضل لما هو دونه كاستعارة الطيران لغير ذي الجناح من قول
القائل في الفرس :

لو يشا طار به ذو ميعة لاحقاً لأطال نهد ذو خصل

ومنها أن يكون الشبه مأخوذاً من صفة هي موجودة في كل واحد من
المستعار له والمستعار منه على الحقيقة كقولك « رأيت شمساً ترنو » وأنت
تريد إنساناً مهتلل الوجه ، فالصفة هنا في جنسين مختلفين الإنسان والشمس
وهي في الضرب الأول لجنس واحد هو الطير والفرس ولكنها مختلفة فيه .
ومنها وهو الصحيح الخالص من الاستعارة ، أن يكون الشبه مأخوذاً من
الصور العقلية كاستعارة النور للبيان المكاشف عن الحق في قوله تعالى : -
« واتبعوا النور الذي أنزل معه » سواء في ذلك ما كان الأخذ فيه من
محسوس لمعقول كالآية السابقة « أو من المحسوس للمحسوس كقوله صلى الله عليه وسلم
(إياكم وخضراء الدمن) أو من المعقول للمعقول كتنزيل الموجد من منزلة
المعدوم ، لفقده المعاني التي يظهر بها قدر الشيء على النحو الذي
يريد القائل :

خلقوا وما خلقوا المكرمة فكانهم خلقوا وما خلقوا

رزقوا وما رزقوا سماح يد فكانهم رزقوا وما رزقوا

و العكس ، لما خلف من آثار تحي ذكره على النحو الذي يريد القائل

ردت صنائعه إليه حياته . فمكأنه من نشرها منشور
وبعد فنهذ نماذج من أمثلة ساقها للاستعارة الفائقة ، منها قول القائل
سالت عليه شعاب الحى حزين دعا أنصاره بوجوه كالدنانير
وقول الآخر

اليوم يومان مذ غبت عن بصرى نفسى فداؤك ما ذنبى فاعتذر
أمسى وأصبح لا ألقاك واحزنا لقد تأتق فى مكروهى القدر
ولبعض الأعراب

ولرب خصم جاهدين ذوى شذا تقذى عيونهم بهتر هاتر
لد ظأرتهم على ماسمهم وخسأت باطلهم بحق ظاهر
ولابن المعتز

يناجينى الاخلاف من تحت مطله فتختهم الآمال واليأس فى صدرى
وقول آخر وهو مما أنشده الجاحظ

لقد كنت فى قوم عليك أشجة بنفسك إلا أن ما طاح طامخ
يودون لو خاطوا عليك جلودهم ولا تدفع الموت النفوس الشحانخ

ولكى تعلم قدر الاستعارة فى نفس عبد القاهر وحفله بمكانتها فى القول ،
استمع اليه يقول فى الضرب المفيد منها ، « اعلم أن الاستعارة فى الحقيقة هى
هذا الضرب دون الأول ، وهى فيه أمد ميداننا وأشد اقتنانا وأكثر جريانا
وأعجب حسنا وإحسانا ، وأوسع سعة وأبعد غورا ، وأذهب نجدا فى
الصناعة وغورا ، نعم وأسحر سحرا ، وأملأ بكل ما يملأ صدرا ، ويتمتع
هقلا ويؤنس نفسا ، ويوفر أنسا ، وأهدى إلى أن تهدى اليك عذارى قد
تخير لها الجمال ، وعنى بها الكمال ، وأن تخرج لك من بحرها جواهر إن باهتها
الجواهر مدت فى الشرف والفضيلة باعا لا يقهر ، وأبدت من الأوصاف
الجليلة محاسن لا تنسك ، وردت تلك بصفرة الحفر ، ووكلتها إلى نسبتها
من الحجر ، وأن تثير من معدنها تبرا لم تر مثله ثم تصوغ منها صياغات
تبطل الحلى ، وتريك الحقيقى من الحلى ، وأن تأتيك على الجملة بعقائل يأنس

إليها الدين والدنيا ، وشرائف لها من الشرف المرتبة العليا ، وهي أجل من أن تأتى الصفة على حقيقة حالها وتستوفى جملة رجالها ... »

٦ - وأخيرا - فيما نريد أن نذكر - تناول عبد القاهر الجمناس في موضع واحد وقع بالأسرار من صفحة ٤ - ١٣ وهو إنما ذكر التجنيس احتجاجا لنظرية المعنى على اللفظ ، ولذلك يقول : « أما التجنيس فانك لا تستحسن تجانس اللفظين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعا حميدا ، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدا ، ألا تراك استضعفت تجنيس أبى تمام في قوله : -

ذهبت بمذهبه السباحة فالتوت فيه الظنون أم مذهب
واستحسننت تجنيس القائل « حتى نجا من فوقه وما نجا ، وقول المحدث
ناظراه فسيما جنت ناظراه أو دعاني أمت بما أودعاني
الامر يرجع إلى اللفظ ؟ أم لأنك رأيت الفائدة ضعفت في الأول
وقويت في الثاني ، ورأيتك لم يزدك بمذهب ومذهب على أن أسمعتك حروفا
مكررة ، تروم لها فائدة فلا تجدها إلا بجملة منكورة ، ورأيت الآخر قد
أعاد عليك اللفظة كأنه يخذلك عن الفائدة وقد أعطاها ، ويوهمك كأنه لم
يزدك وقد أحسن الزيادة ووفأها ، فهذه السريرة صار التجنيس وخصوصا
المستوفى منه المتفق في الصورة من حلى الشعر ومذكورا في أقسام البديع ،
فقد تبين لك أن ما يعطى التجنيس من الفضيلة أمر لا يتم إلا بنصرة المعنى ،
إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه مستحسن ، ولما وجد فيه إلا معيب
مستهجن ، ولذلك ذم الاستكثار منه والولوع به ، لأن المعاني لاتدين في كل
موضع لما يجذبها التجنيس إليه ، إذ الألفاظ خدم المعاني والمعاني هي المالك
سياستها ... »

هذا وقد شغل عبد القاهر باقى الدلائل بأبحاث ، أهمها في الفصاحة والبلاغة
والتقديم والتأخير والفصل والوصل والقصر والاطلاق والكنائية والمجاز ،
كما شغل باقى الأسرار بأبحاث أهمها التشبيه وباقى أنواع الكناية والمجاز .

ابن الأثير

في كتابه « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر »
 بنى ابن الأثير كتابه بعد فاتحته على مقدمة ومقالتين ، فأبان في الفاتحة
 مكانة البيان من النظم والنثر ومكانته هو إزاء غيره من البيان ، ثم ضمن
 المقدمة أصول علم البيان ، أما المقالتان فقد ضمنهما فروع ذلك العلم ، فتكلم
 في الأولى على الصناعة اللفظية وتكلم في الثانية على الصناعة المعنوية ،
 وهذا عرض سريع موجز لما يهمننا من كل ذلك . .

أولاً - فاتحة الكتاب

عرض فيها لمنزلة البيان من النظم والنثر فجعلها كمنزلة أصول الفقه من
 الأحكام وأدلتها ، وأخذ يذكر جهود بعض المتقدمين فيه غير راض عنها
 لمناقص فيها ، ثم خرج من ذلك يقول عن منزلته هو من البيان « كنت
 قد عثرت على ضروب كثيرة منه في غضون القرآن الكريم ، ولم أجد أحداً
 من تقدمي تعرض لذكر شيء منها وهي إذا عدت كانت في هذا العلم بمقدار
 شطره ، وإذا نظر إلى فوائدها وجدت محتوية عليه بأسره ، وقد أوردتها هاهنا
 وشفعتها بضروب آخر مدونة في الكتب المتقدمة ، بعد أن جذفت منها
 ما حذفته ، وأضفت إليها ما أضفته ، وهداني الله لا ابتداع أشياء لم تكن من
 قبلي مبتدعة ، ومنحني درجة الاجتهاد التي لا تكون أقوالها تابعة وإنما هي
 متبعة ، وكل ذلك يظهر عند الوقوف على كتابي هذا وعلى غيره من الكتب ،
 إلى أن قال في تقرير كتابه مدلاً به « وإذا تركت الهوى قلت ، إن هذا
 الكتاب بديع في إغرابه ، مفرد بين أصحابه ، وليس له صاحب في الكتب
 فيقال إنه من أخذائه أو آثابه . . وقد تعرض في هذه الفاتحة لبيان مكانة
 الذوق من علم البيان فقال « واعلم أيها الناظر في كتاب أن مدار علم البيان
 على حاكم الذوق السليم ، الذي هو أنفع من ذوق التعليم ، وهذا الكتاب
 وإن كان فيما يليقه إليك أستاذاً ، فإذا سألت عما ينتفع به في فيه قيل لك هذا ،

فان الدربة والأدمان أجدى عليك نفعا ، وأهدى بضرأ وسمعا ، وهما يأنك
الخبر عيانا ، ويجعلان عسرك من القول إمكانا ، وكل جارحة فيك قلبا
ولسانا ، فخذ من هذا الكتاب ما أعطاك ، واستنبط بأدما نك ما أخطاك ،
وما مثلي فيما مهدته لك من هذه الطريق إلا كن طبع سيفاً ووضع في يمينك
لتقاتل به ، وليس عليه أن يخلق لك قلبا ؛ فان حمل النصال غير مباشرة القتال . .
وانما يبلغ الانسان غايته ماكل ماشية بالرحل شمالل

ثانياً - المقدمة

جعل المقدمة عشرة فصول ، أبان في الأول أن موضوع علم البيان
الفصاحة والبلاغة وأحوالها اللفظية والمعنوية ، وفي هذا الفصل خالف
عبد القاهر في مكانة النحو من الفصاحة والبلاغة فقال إن النحوى ينظر في
دلالة الألفاظ على المعانى من جهة الوضع اللغوى . وهذه دلالة علمة ،
وصاحب علم البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة وهى دلالة خاصة ،
والمراد بها أن يكون الكلام على هيئة مخصوصة من الحسن ، وذلك أمر وراء
النحو والأعراب ، ألا ترى أن النحوى يفهم معنى الكلام المنظوم والمشور
ويعلم مواقع إعرابه ، ومع ذلك لا يفهم ما فيه من الفصاحة والبلاغة . ومن
هنا غلط مفسرو الأشعار فى اقتصارهم على شرح المعنى ، وعلى ما فيها من
الكلمات اللغوية وتبيين مواضع الأعراب منها ، دون شرح ما تضمنته من أسرار
الفصاحة والبلاغة .

وتكلم فى الثانى عن آلات علم البيان وأدواته وأنها ثمانية ، النحو واللغة
والأمثال ومعها الأيام والتأليف المتقدمة لأرباب البيان والأحكام السلطانية
والقرآن الكريم والحديث الشريف ثم العروض والقوافى ، والذى يهمننا من
ذلك بيانه مكانة الطبع من هذه الآلات والأدوات حيث يقول « وملاك
هذا كله الطبع ، لأنه إذا لم يكن ثم طبع فانه لا تغنى تلك الآلات شيئا ،
ومثل ذلك كمثل النار الكامنة فى الزناد والحديدة التى يقدح بها ، ألا ترى أنه
إذا لم يكن فى الزناد نار لا تفيد تلك الحديدة شيئا . . . » أما الفصلان ، الثالث

الذى جعله فى الحكم على المعانى ، والرابع الذى جعله فى الترجيح بين المعانى ، فهما خير ما عقد فى المقدمة ، كما هو كلامه عنهما حيث يقول عن الثالث ، وفائدة هذا الفصل الاحاطة بأساليب المعانى على اختلافها وتباينها ، وصاحب هذه الصناعة مفتقر إلى هذا الفصل والذى يليه بخلاف غيرهما من هذه الفصول المذكورة ولا سيما مفسرى الأشعار فانهم به أعنى ، وحيث يقول عن الرابع ، وهذا الفصل ميزان الخواطر الذى يوزن به نقد درهما ودينارها ، بل المحك الذى يعلم منه مقدار عيارها ؛ ولا يزن به إلا ذو فكرة متقدمة ولحجة متقدمة ، فليس كل من حمل ميزانا سمي صرافا ولا كل من وزن به سمي عرافا ، وهذا عرض لبعض ما عرض بالفصلين يرى صدق ما ذكر عنهما ،

ذكر فى الفصل الثالث أن الأصل فى المعنى أن يحمل على ظاهر لفظه ، ومن يذهب الى التأويل يحتاج إلى دليل ، وأن المعنى مع التأويل يفهم معه غيره ، وهذا الغير إما أن يكون الضد أو خلافه ، فهذه أقسام ثلاثة ولا رابع لها . فالأول وهو ما لا تأويل فيه يقع عليه أكثر الأشعار ولا يجرى فى الدقة واللفظة مجرى القسمين الآخرين . والثانى وهو ما يفهم منه المعنى وضده قليل الوقوع جداً وهو من أطرف التأويلات المعنوية ، لأن دلالة اللفظ على المعنى وضده أغرب من دلالة على المعنى وغيره مما ليس بضد ، ويجرى على هذا النهج من الشعر قول المتنبي فى كافور .

وأظلم أهل الظلم من بات حاسداً لمن بات فى نعمائه يتقلب
فهذا البيت يستخرج منه معنيان ضدان ، أحدهما أن المنعم عليه يحسد المنعم
والآخر أن المنعم يحسد المنعم عليه ، وأكثر ما كان المتنبي يستعمل هذا القسم فى قصائده الكافوريات ، والقسم الثالث وسط بينهما فى القلة والكثرة ، ومن الدقيق فى هذا القسم قول المتنبي يمدح عضد الدولة .

لو فطنت خيله لنائله لم يرضها أن تراه يرضاه
فهذا يستنبط منه معنيان غير متضارين ، أحدهما أن خيله لو علمت
مقدار عطاياه ونفاستها لاترضى أن تسكون من جملة ما لوقوعها دون تلك النفاسة

والآخر أنها لو علمت أنه سيبها من جملة ما يهب لما رضيت ذلك منه ، إذ هي تنكره خروجها عنه .

وذكر في الفصل الرابع وهو مبني على الثالث ، أن القسم الأول وهو ما لا تأويل فيه لا تعلق للترجيح به إذ ، لا يحتمل إلا وجها واحداً ، أما الثاني وهو ما يحتمل معنيين فلا يخلو الترجيح بينهما من ثلاثة أقسام لا رابع لها . إذ اللفظ إما أن يكون حقيقة في أحدهما مجازاً في الآخر أو حقيقة فيهما جميعاً أو مجازاً فيهما كذلك ، فالترجيح بين الحقيقة والمجاز يعلم ببديهية النظر لمكان الاختلاف بينهما ، وذلك كقوله تعالى « ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون ، حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون » فالجلود هنا قد تراد حقيقة وقد يراد بها الفروج وهذا هو المعنى البلاغي الذي يرجح المجاز على الحقيقة لما فيه من لطف الكتابة عن الممكني عنه ، والترجيح بين الحقيقتين أو بين المجازين يحتاج إلى النظر ، ومثاله بين الحقيقتين قول النبي ﷺ « التمسوا الرزق في خبايا الأرض » إذ الخبايا تكون السكنوز وتكون الغراس ، والثاني أرجح لأن مواضع السكنوز غير معلومة حتى تلمس والنبي لا يأمر بذلك بخلاف الغراس ، ومثاله بين المجازين قول أب تمام :

قد بلونا أبا سعيد حديثاً وبلونا أبا سعيد قديماً

ووردناه ساحلاً وقلبياً ورعيناه بارضاً وحمياً

فعلينا أن ليس إلا بشق الـ أنفس صار الكريم يدعى كريماً

والشاهد في الساحل وهو البحر والقلب وهو البئر ، وليس هذا المعنى الحقيقي مراداً ولكن المراد المعنى المجازي ، وهو إما أنه الكثير القليل لفضل ماء البحر على ماء البئر ، وإما أنه غير السبب والسبب إذ ماء البحر لا يحتاج في جلبه إلى ما يحتاج إليه ماء البئر من آلة ، وهذا المعنى الثاني هو المرجح على الأول ، لأنه أدل على بلاغة القائل لسلامته من هجته التكرار مع عجز البيت في قوله « بارضاً وحمياً ، والأول البت أول نجومه والثاني حين يتم نموه أي

القلة والكثرة أيضا ، كما هو أدل على مدح المقول فيه لتعداد حالاته الأربع من تبرع ونوال وإكثار وإقلال . أما بقية الفصول من الخامس إلى العاشر فكان القول فيها في مسائل علمية أو عادية ويمكن الرجوع إليها هناك .

ثالثا - المقالة الاولى

ضمن المقالة الأولى الكلام على الصناعة اللفظية كما سبقت الإشارة ، وقسمها قسمين ، أول تكلم فيه على اللفظة المفردة ، وثانيا تكلم فيه على الألفاظ المركبة ، وقدم للقول تصديرا بدأه بقوله « اعلم أن صاحب هذه الصناعة يحتاج في تأليفه الكلام إلى ثلاثة أشياء ، الأول اختياره الألفاظ المفردة وحكم ذلك حكم الآلى المبعدة فانها تتخير وتنقئ قبل النظم ، والثاني نظم كل كلمة مع أختها المشاكلة لها للتلاهيء الكلام قلعا نافرا عن مواضعه ، وحكم ذلك حكم العقد المنظوم في اقتران كل لؤلؤة منه بأختها المشاكلة لها ، والثالث الغرض المقصود من ذلك الكلام على اختلاف أنواعه وحكم ذلك حكم الوضع الذي يوضع فيه العقد المنظوم ، فتارة يجعل إكليلا على الرأس وتارة يجعل قلادة في العنق وتارة يجعل شفا في الأذن ، ولكل موضع من هذه المواضع هيئة من الحسن تخصه ، فهذه ثلاثة أشياء لا بد للخطيب والشاعر من العناية بها ، وهي الأصل المعتمد عليه في تأليف الكلام من النظم والنثر ، فالأول والثاني من هذه الثلاثة المذكورة هما المراد بالفصاحة ، والثالثة بجملتها هي المراد بالبلاغة ، وهذا الوضع يضل في سلوك طريقه العلماء بصناعة صوغ الكلام من النظم والنثر ، فكيف الجاهل الذين لم تتفهمهم راحة ، ومن الذي يؤتيه الله فطرة ناصعة يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار ، حتى ينظر إلى أسرار ما يستعمله من الألفاظ فيضعها في مواضعها ... »

وأخذ بعد هذا التصدير يتكلم على الكلمة وهي مفردة من حيث إنها قد تروق في كلام وتسكره في آخر تفضلها فيه غيرها ، ومن حيث الحسن والقبح الذاتيان فيها وضرورة تجنب بعض الحروف في بنيتها ، ومن حيث الجزالة والركة ، ومن حيث الصون والابتدال ، ومن حيث التخصيص

والاشتراك، الى غير هذه النواحي مما أفاض فيه وأكثر من الاستشهاد له فأجاد، ثم أخذ يتكلم على الالفاظ وهي مركبة فكان مما قال « قدمنا القول في شرح أحوال اللفظة المفردة وما يختص بها ، وأما إذا صارت مركبة فان تركيبها حكما آخر ، وذلك أنه يحدث عنه من فوائد التأليف والامتزاجات مما يخيّل للسامع أن هذه الالفاظ ليست تلك التي كانت مفردة ، ومثال ذلك كمن أخذ لآلئ ليست من ذوات القيم الغالية فأحسن الوضع في تأليفها حتى خيل للناظر بحسن تأليفه وإتقان صنعته أنها ليست تلك التي كانت منشورة مبددة ، وفي عكس ذلك من يأخذ لآلئ من ذوات القيم الغالية ويفسد تأليفها فيضع من حسننها ، فكذلك يجري حكم الالفاظ في التركيب ، وهذا موضع شريف ينبغي الالتفات اليه والعناية به . ثم أرجع تأليف الالفاظ الى أنواع ثمانية تكلم على كل منها ، وهذا عرض لما ذكر في التجنيس الذي اعتدنا التعرض لما قاله غيره فيه ، قال عنه إنه غرة شادخة في وجه الكلام ، والعلماء من أرباب هذه الصناعة قد تصرفوا فيه فغربوا وشرقوا ولا سيما المحدثين منهم الذين ألفوا فيه ، وعرفه بأن يكون اللفظ واحدا والمعنى مختلفا ، وان كان سمي به أيضا ما تشابهت فيه الالفاظ ، ومثل للقسم الأول الحقيقي بأمثله جيدة أكثر منها ولا سيما لآلئ تمام كقوله :

كم أحرزت قضب الهندي مصلته تهتز من قضب تهتز في كضب
يبض اذا انتضيت من حجبتها رجعت أحق بالبيض أبدانا من الحجب
كما مثل للمستكره منه وبخاصة لآلئ تمام أيضا كقوله :

ويوم أرشق والهيجاء قد رشقت من المنية رشقا وإبلا قصفا
أما ما سمي بالتجنيس مما تشابهت فيه الالفاظ وليس منه على الحقيقة ، فقد جعله ستة أقسام عرف بها ومثل لها على نحو ما فعل علماء البديع ولكنه أكثر الأمثلة فليرجع اليها هناك .

رابعاً - المقالة الثانية

جعل المقالة الثانية للصناعة المعنوية وقد استغرقت نحو الثلثين من الكتاب فقد ذكر فيها ثلاثين نوعاً لتلك الصناعة ولكننا سنقف القول على نوعين اثنين فقط تباعاً لما جرينا عليه حيث تكلمنا على سلفه عبد القاهر هما الاستعارة . وقد بدأ بها حيث جعلها النوع الأول ، ثم السرقة ومعها الموازنة وقد ختم بهما حيث جعلهما النوع الثالثين ، موجزين في الأول وباسطين في الأخير لوثيق علاقته بالنقد .

- الاستعارة

قدم للكلام على الاستعارة بالكلام على المجاز ، فذكر أن الذى انكشف له بالنظر الصحيح أن المجاز قسبان ، توسع في الكلام وتشبيه ، وأن التشبيه ضربان تام يذكر فيه المشبه والمشبّه به ، وهو الذى أطلق عليه اسم التشبيه ، وتناقص حذف منه المشبه به واقتصر على ذكر المشبه ، وهو الذى سمي استعارة وعلى ذلك عرف الاستعارة بأنها نقل المعنى من لفظ الى لفظ لمشاركة بينهما مع طى ذكر المنقول إليه كقول الشاعر .

فرعاً إن نهضت لحاجتها
عجل القضيب وأبطأ الدعص
فانه أراد تشبيه القد بالقضيب ، والردف بالدعص ، فترك ذكر التشبيه مظهراً ومضمراً وجاء الى المشبه وهو القد فأعاره المشبه به وهو القضيب ، وإلى الردف فأعاره الدعص ، والقرينة المفهمة هي قوله « فرعاً إن نهضت لحاجتها » لأن ذلك لا يكون الا امرأة ، فأساس الاستعارة أن يطوى ذكر المشبه أى المستعار له مع أداة التشبيه . أما الذى جعل من التشبيه كقولهم « وجهها قر » فلم يطو فيه الا ذكر الأداة ، فهو كالتشبيه المظهر الأداة الذى لا شبهة فيه مع الاستعارة ، على أنه ذكر أن من الكلام ما يجوز حمله على الاستعارة وعلى التشبيه المضمّر الأداة باختلاف القرينة ، وذلك حين يرد الكلام محمّلاً على ضمير من تقدم ذكره ، كقول البحرى .

إذا سمرت أضاءت شمس دجن ومالت في الشعطف غصن بان
فأنك إن نصبت شمس دجن وغصن بان ، بالحمل على الضمير في أضاءت
كان ذلك تشبيهاً للذكر المشبه ، وإن ذكرتهما بالرفع كان هذا استعارة لا انتفاء
المشبه بانتفاء الحمل . ثم عاد إلى التوسع المجازي فقال ، إنه ما يقع عن غير
مشاركة ، وإنه ضربان ، أحدهما أن يرد على وجه الإضافة وهو قبيح الاستعمال
لأنه يؤول على التشبيه المضمر الأداة دون اشتراك كقول أبي نواس -

بح صوت المال مما منك يشكو ويصبح
وكذلك قوله :

ما لرجل المال أمست تشتكي منك السكالا
فإضافة الصوت إلى المال قبيحة وإضافة الرجل إليه أقبح ، والثاني ما ورد
على غير وجه الإضافة وهو حسن كقول أبي تمام في مخاطبة الربع :
أמידان لهوى من أتاح لك البلى فأصبحت ميدان الصبا والجنائب
ووجه حسنه يرجع إلى أنه ينبغي مساواة الأهل الذين كانوا فيه .

هذا وقد استحسن بعد الذي ذكر ، أن يفعل فعل عبد القاهر في الأمام بجمرة
من أمثلة الاستعارة التي يستفيد بها المتعلم مالا يستفيدة بذكر الحد والحقيقة ،
فأتى ببعض الآيات القرآنية كقوله تعالى « كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس
من الظلمات إلى النور » وبعض الأحاديث النبوية كقوله ﷺ « لا تستضيؤا
بنار المشركين » يعني مشورتهم ، وبعض المأثور عن العرب كقولهم عند
روية الهلال « لا مرحبا باللاجين » وبعدها أتى على جمرة كبيرة من الأشعار
تقارب العشرين مثلاً ؛ كقول مسكين الدارمي .

لحافى لحاف الضيف والبيت بيته . ولم يأنى عنه غزال مقنع
أحدثه إن الحديث من القرى . وتعلم نفسى أنه سوف يهجع
يعنى بالغزال المقنع المرأة الحسنة . وكقول ديك الجن يعنى بواطن
أمره وظواهره .

أسرى طريدا للحياء من التي زعموا ولست لرهبنة بطريد
وغدا تبين ما براءة ساحتى لو قد نفضت تهائمى ونجودى

وكقول المتنبي وهو من الملميح النادر، يعنى خيل الممدوح:

وأصبحت بقرى هنريط جائلة ترعى الظبي فى خصيب نبتة اللهم
فما تركن بها خلدا له بصر تحت التراب ولا بازا له قدم

ولا هزبرا له من درعه لبد ولا مهابة لها من شبيها حشم
ثم قول الشريف الرضى:

إذا أنت أفنيت العرائن والذرى رمتك الليالى من يد الحامل الغمر
وهبك اتقيت السهم من حيث يبتقى فن ليد ترميك من حيث لا تدرى

وأخيرا قال وهو ما نختم به ما ذكرناه عنه فى الاستعارة « وإذ قد تبينت
أن الاستعارة لا تكون إلا بحيث يطوى ذكر المستعار له فانها لا تجيء إلا
ملائمة مناسبة، لا توجد فيها مباينة ولا تباعد، لأنها لا تذكر مطوية إلا بسياق
المناسبة بين المستعار منه والمستعار له، ولو طويت ولم تكن هناك مناسبة
بينهما لعسر فهمها ولم يكن المراد منها، .

السرقه والموازنه

أفاض ابن الاثير القول فى السرقه والموازنه حتى شغل بذلك خمسا
وعشرين صفحه من كتابه، وهذا تصوير لما قال بطريق النقل عنه حينما
والتلخيص لما ذكر حينما آخر :-

السرقه — قال يقدم للسرقه « ذهب طائفة من العلماء إلى أنه ليس لقائل
أن يقول، إن لا أحد من المتأخرين معنى مبتدعا، فان قول الشعر قديم منذ
نطق باللغة العربية وإنه لم يبق معنى من المعانى إلا وقد طرق مرارا، وهذا
القول وإن دخل فى حيز الامكان لا يلتفت إليه، لأن الشعر من الأمور
المتناقلة، والذي نقلته الاخبار وتواردت عليه أن العرب كانت تنظم المقاطيع
من الآيات فيما يعين لها من الحاجات، ولم تزل الحال على هذه الصورة إلى
عهد امرئ القيس وهو قبل الاسلام بمائة سنة زائد افناقصا، فقصده القصائد

وهو أول من قصد ، ولو لم يكن له معنى اختص به سوى أنه أول من قصد القصائد لكان في ذلك كفاية ، وأى فضيلة أكبر من هذه الفضيلة ، ثم تتابع المقصدون واختير من القصائد تلك السبع التي علقت على البيت ، وانفتح للشعراء هذا الباب في التقصيد وكثرت المعاني المقولة بسببه ، ولم يزل الأمر ينمى ويزيد ويؤتى بالمعاني الغريبة ، واستمر ذلك إلى عهد الدولة العباسية وما بعدها إلى الدولة الحمدانية ، فعظم الشعر وكثرت أساليبه وتشعبت طرقه وكان ختامه على الثلاثة المتأخرين ، وهم أبو تمام حبيب بن أوس وأبو عبادة الوليد بن عبيد البحرى وأبو الطيب المتنبي . فاذا قيل إن المعاني المبتدعة سبق إليها ولم يبق منها معنى مبتدع عورض ذلك بما ذكرته ، والصحيح أن باب الابتداع للمعاني مفتوح إلى يوم القيامة ، ومن الذى يحجر على الخواطر وهى قاذفة بما لا نهاية له ، إلا أن من المعاني ما يتسارى الشعراء فيه ولا يطلق عليه اسم الابتداع لأول قبل آخر ، لأن الخواطر تأتى به من غير حاجة إلى اتباع الآخر الأول ، كقولهم فى الغزل :

عفت الديار وما عفت آثارهن من القلوب

وقولهم إن الطيف يحدو بما يبخل به صاحبه وإن الواشى لو علم بجزار الطيف لساءه ، وكقولهم فى المديح أن عطاءه كالبحر وكالسحاب وإنه لا يمنع عطاء اليوم عطاء غد وإنه يحدو ابتداء من غير مسألة ، وكقولهم فى الرثاء إن هذا الرزء أول حادث وإنه استوى فيه الأمام بعد والاقارب وإن الذهاب لم يكن واحدا وإنما كان قبيلة وإنه بعد هذا الذهاب لا يعد للنسيئة ذنب ، وأشبه تلك ، وكذلك يجرى الأمر فى غير ما أشرت إليه من معان ظاهرة تتوارد الخواطر عليها من غير كلفة وتستوى فى إيرادها ، فكل هذه لا يطلق على الآخر فيها اسم السرقة من الأول ، وإنما يطلق اسم السرقة فى معنى مخصوص كقول أبى تمام :

لا تنسكروا ضربى له من دونه مثلا شرودا فى الندى والباس

فإنه قد ضرب الأقل لنوره مثلا من المشكاة والنبرس

وهذا معنى مخصوص ابتدعه أبو تمام ، فانه لما أنشد المعتمد قبل خلافته قصيدته التي مطلعها

ما في وقوفك ساعة من باس نقضى زمام الاربع الادراس
وانتهى إلى قوله

إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء اياس
قال الحكيم السكندی وأى فخر في تشبيه ابن أمير المؤمنين بأجلاف العرب
فأطرق أبو تمام ثم أنشد هذين البيتين معتذرا من تشبيهه بهؤلاء ، وهذا معنى
يشهد الحال أنه ابتدعه ، فمن أتى من بعده بهذا المعنى أو بجزء منه فانه يكون
سارقا ، وكذلك قول المتنبي في عضد الدولة وولديه « أبى الفوارس
وأبى دلف ،

وأنت الشمس تهر كل عين فكيف وقد بدت معها اثنتان
فحاشا عيشة القمرين يحيا بضوءهما ولا يتحاسدان
ولا ملكا سوى ملك الاعادى ولا ورثا سوى من يقتلان
وكان ابنا عدو كائراه له يامى حروف أنيسيان
وهذا معنى لابنى الطيب وهو الذى ابتدعه ، يعين أن زيادة أبناء عدوه
كزيادة التصغير لانها زيادة نقص . وما ينبغى أن يقال إن ابن الرومى ابتدع
هذا المعنى الذى هو

يشكى المحب ويلقى الدهر شاكية كالقوس تسمى الرمايا وهى مرنان
كما زعم بعض علماء البيان ، لانه ماخوذ من المثل « يلدغ ويصى ، يضرب
لمن يبتدىء بالاذى ثم يشكو . والذى عندى فى السرقات أنه متى أورد
الآخر شيئا من الفاظ الاول فى معنى من المعانى ولو لفظة واحدة كان ذلك
من أدل الدلائل على سرقة ... »

وبعد أن أبان فى إفاضة أن السرقات الشعرية لا يمكن الوقوف عليها
إلا بحفظ الأشعار الكثيرة التى لا يحصرها عد ، وبرهن على ذلك واستشهد له ،
أخذ يشرح ألوان السرقات ويكثرها من الأمثلة . وقد جعل تلك الألوان

ثلاثة النسخ والمسخ والسلخ .

فقال عن النسخ إنه أخذ اللفظ والمعنى برمته من غير زيادة فيه عليه ، مأخوذ من نسخ الكتاب . ولا يكون الا في أخذ اللفظ والمعنى جميعا أو في أخذ المعنى وأكثر اللفظ ، وعلى ذلك فهو ضربان ، الاول يسمى وقوع الحافر على الحافر كقول طرفة .

وقوفا بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك أسي وتحلد مع قول امرئ القيس .

وقوفا بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك أسي وتحمل والثاني كقول أبي تمام .

محلسن أوصاف المخنيين جمّة وما قصبات السبق الا لمعبد مع قول بعض المتقدمين .

أجاد طويس والسريجي بعده وما قصبات السبق الا لمعبد وقال عن المسخ إنه إحالة المعنى إلى مادونه ، مأخوذ من مسخ الآدميين قردة ، فهو قلب الصورة الحسنة إلى صورة قبيحة كقول المتنبي .

يرى أن ما ما بان منك لضارب بأقتل مما بان منك لعائب مع قول أبي تمام .

فتى لا يرى أن الفريضة مقتل ولكن يرى أن العيوب مقاتل فهو وان لم يشوه المعنى فقد شوه الصورة ، ومثاله في ذلك كمن أودع الوشي شملا وأعطى الورد جملا ، وهذا من أرذل السرقات .

ثم قال عن السلخ إنه أخذ بعض المعنى ، مأخوذ من سلخ الجلد الذي هو بعض الجسم المسلوخ ، وقد جعله ضربا عد منها أحد عشر : —

١ — أن يؤخذ المعنى ويستخرج منه ما يشبهه ولا يكون هو إياه ، وهذا من أدق السرقات مذهبا وأجسناها صورة ولا يأتي إلا قليلا كقول المتنبي . وإذا أتتكَ مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأنّي كامل مع قول بعض شعراء الحماسة .

لقد زادني حبا لنفسي أننى بغيض الى كل امرئ غير طائل
والمعرفة بأن هذا أصل ذاك عسرة غامضة لا تبين إلا لمن أغرق في ممارسة
الأشعار وغاص في استخراج المعاني ، وبيانه أن الأول يقول إن بغض الذى
هو غير طائل إياى مما زاد نفسى حبا الى ، والمتنبى يقول إن ذم الناقص إياى
شاهد بفضلنى .

٢ - أن يؤخذ المعنى مجردا من اللفظ ، وذلك مما يصعب جدا ولا يكاد
يأتى إلا قليلا كقول أب تمام :

قتى مات بين الطعن والضرب ميتة تقوم مقام النصر إذ فاته النصر
مع قول عروة بن الورد .

ومن يك مثلى ذا عيال ومقترا من المال يطرح نفسه كل مطرح
ليبلغ عذرا أو ينال رغبة ومبلغ نفس عذرها مثل منجح
فعروة جعل اجتهاده فى طلب الرزق عذرا يقوم مقام النجاح ، وأبو تمام
جعل الموت فى الحرب الذى هو غاية اجتهاد المجتهد فى لقاء العدو قائما مقام
الانتصار ، وكلا المعنيين واحد غير أن اللفظ يختلف .

٣ - أن يؤخذ المعنى ويسير من اللفظ ، وهذا من أقيس السرقات وأظهرها
شناعة على السارق كقول البخترى .

فوق ضعف الصغير إن وكل الأمر اليه ودون كيد الكبار
مع قول أبى نواس

لم يخف من كبر عما يراد به من الأمور ولا أزرى من للصغر
٤ - أن يؤخذ المعنى فيعكس ، وذلك حسن يكاد يخرج منه حسنه عن حد
السرقه كقول المتنبى .

أحبه وأحب فيه ملامه إن الملامه فيه من أعدائه
مع قول أبى الشيص .

أجد الملامه فى هواك لذينة شغفا بذكرك فليبنى اللوم
وهذا من السرقات الخفية جدا ولأن يسمى ابتداءا أولى من أن
يسمى سرقة .

٥ - أن يؤخذ بعض المعنى كقول أبي تمام :

تدعى عطاياه ووفرا وهي إن شهرت كانت فخارا لمن يعفوه مؤتفقا
ما زلت منتظرا أعجوبة زمنا حتى رأيت سؤالا يجتنى شرفا
مع قول أمية بن أبي الصلت .
عطاؤك زين لامرئ إن حبوته يبذل وما كل العطاء يزين
وليس بشين لامرئ بذل وجهه اليك كما بعض السؤال يشين
فأنه أتى بمعنيين ، أحدهما أن عطاءك زين والآخر أن عطاء غيرك شين ،
وأبو تمام أتى بالمعنى الأول لا غير .

٦ - أن يؤخذ المعنى فيزداد عليه معنى آخر كقول مسلم .

إن قصر الرمح لم يمش الخطأ عددا أو عرد السيف لم يهيم بتعريد
مع قول الأخنس بن شهاب .
إذا قصرت أسيفنا كان وصلها خطانا إلى أعدائنا فضارب
٧ - أن يؤخذ المعنى فيكسى عبارة أحسن من العبارة الأولى ، وهذا
هو المحمود الذي يخرج به حسنه عن باب السرقة كقول البحتري .
إذا اخترت يوما ففاضت دماؤها تذكرت القربى ففاضت دموعها
مع قول أبي تمام .

جذلان من ظفر حران أن رجعت مخضوبة منكم أظفاره بدم
٨ - أن يؤخذ المعنى ويسبك سبكا موجزا . وذلك من أحسن السرقات
لما فيه من الدلالة على بسطة الناظم في القول وسعة بابه في البلاغة كقول
سلم الخنسر .

من راقب الناس مات هالكا وفاز باللذة الجسور
مع قول أستاذه بشار ، وبين البيتين لفظتان في التأليف .
من راقب الناس لم يظفر بجاحته وفاز بالطيبات الفاتك اللهب
٩ - أن يكون المعنى عاما فيجعل خاصا أو خاصا فيجعل عاما ، وهو من
السرقات التي يسامح صاحبها ، فمن العام الذي جعل خاصا قول أبي تمام .

أألوم من بخلت يدها وأغتنى للبخل ترابا ساء ذلك صنعا
مع قول أبي الأسود الدؤلى .
لاته عن خلق وتأثى مثله عار عليك اذا فعلت عظيم
ومن الخاض الذى جعل عاما قول المتنبي .

وما يؤلم الحرمان من كف حارم كما يؤلم الحرمان من كف رازق
مع قول أبي تمام .

ولو حارثت شول عذرت لقاحها ولو سكتت الدرود الضرع حافل
١٠ - أن يؤخذ المعنى فيضرب له مثال يوضحه كقول المتنبي .

ومن الخير بقاء مسيك عن أسرع السحب فى المسير الجاهم
مع قول أبي تمام .

هو الصنع إن يعجل فنفع وإن يرث فللريث فى بعض المواطن أنفع
وهذا من المبتدع لا من المسروق ، فما أحسن ما أتى المتنبي بهذا المعنى فى
المثال المناسب له .

١١ - أن يتخذ الطريق ويختلف المقصد ، فمن ذلك قول النابغة .

إذا ما غزوا بالجيش خلق فوقهم عصائب طير تهتدى بعصائب
جواخ قد أيقن أن قبيله إذا ما التقى الجمعان أول غالب
وهذا المعنى قد توارى عليه الشعراء قديما وحديثا . ولم أجده أحدا أغرب
فيه فسلكت هذه الطريق مع اختلاف مقصده اليها لإمام بن الوليد حيث يقول .

أشربت أزواح العدا وقلوبها خوفا فأففسها اليك تطير
لو حاكمك فطالبتك بذحلها شهدت عليك ثعالب ونسور
فهذا من المثلج البديع الذى فضل به مسلم غيره فى هذا المعنى ، ولما انتهى
الامر فيه الى المتنبي أغرب وأبدع وحاز الاحسان بجملة وصار كأنه مبتدع
لهذا المعنى دون غيره فقال .

تفدى أتم الطير عمرا سلاحه نسور الملا أحداثها والقشاعم
وما ضرها خلق بغير مخالب وقد خلقت أسيافه والقوائم

تم أورد هذا المعنى في موضع آخر فقال .
 سحاب من الغيبان ترجف تحتهما سحاب إذا استقت سقتهاصوارمه
 وهذا معنى قد حوى طرفي الأغراب والأعجاب ، وقال في موضع آخر
 وذى لجب لا ذو الجناح أمامه بناج ولا الوحش المثار بسالم
 تمر عليه الشمس وهي ضعيفة تطالعه من بين ريش القشاعم
 إذا ضوءها لاقى من الطير فرجة تدور فوق البيض مثل الدراهم
 وهذا من إعجاز أبي الطيب المشهور ، ولو لم يكن له من الإحسان في
 شعره إلا هذه الآيات لاستحق بها فضيلة التقدم ،

الموازنة — عني ابن الأثير بالموازنة عنايته بالسريقة ، وتجلت هذه
 العناية منه في ناحيتين بارزتين ، إحداهما ما أجراه من قول بين الثلاثة
 الشعراء أبي تمام والبحترى والمتنبي ، والأخرى ما عقد من موازنة تطبيقية
 في بعض قصائدهم وقد يكون معهم غيرهم ، وهذا طرف من كليهما .
 قال يقدم للموازنة بينهم ويوازن ، لما نصبت نفسي للخوض في علم البيان
 ورميت أن أكون معدودا من علمائه ، علمت أن هذه الدرجة لا تنال إلا بنقل
 ما في المكتب إلى الصدور ؛ والاكتفاء بالمحفوظ عن المسطور .

ليس بعلم ما حوى القمطر ما العلم إلا ما حواه الصدر
 ولقد وقفت من الشعر على كل ديوان ومجموع ، وأنفدت شطرا من
 العمر في المحفوظ منه والمسموع ، فألفيته بحرا لا يوقف على ساحله ، وكيف
 ينتهي إلى إحصاء قول لم تحص أسماء قائله ، فعند ذلك اقتضرت منه على
 ما تكثر فوائده ، وتتشعب مقاصده ، ولم أكن ممن أخذ بالتقليد والتسليم ،
 واتباع من قصر نظره على الشعر القديم ، إذ المراد من الشعر إنما هو إبداع
 المعنى الشريف ، في اللفظ الجزل واللاطيف ، فتي وجد ذلك في كل مكان
 خيمت فهو بابل ، وقد اكتفيت في هذا بشعر أبي تمام حبيب بن أوس وأبي
 عبادة الوليد البحترى وأبي الطيب المتنبي ، وهؤلاء هم لآل الشعر وعزاه
 ومناته ، الذين ظهرت على أيديهم حسناته ومسمحاته ، وقد حوت أشعارهم

غرابه المحدثين إلى فصاحة القدماء ؛ وجمعت بين الأمثال السائرة
وحكمة الحكماء .

فأما أبو تمام فإنه رب معان ، وصيقل ألباب وأذهان ، وقد شهد له بكل
معنى مبتكر ، لم يمش فيه على أثر ، فهو غير مدافع عن مقام الأعراب ،
الذي برز فيه على الأضراب ، ولقد مارست من الشعر كل أول وأخير ،
ولم أقل ما أقول فيه إلا عن تنقيب وتنقيح ، فمن حفظ شعر الرجل وكشف عن
غامضه ، ورياض فكره برائضه ، أطاعته أئنة الكلام ، وكان قوله في
البلاغة ما قالت حذام ، أفخذ مني في ذلك قول حكيم ، ففوق كل
ذي علم عليم .

وأما أبو عبادة البحتري فإنه أحسن في سبك النظم على المعنى ، وأراد
أن يشعر فغنى ، ولقد جاز طرقي الرقة والجزالة على الإطلاق ، فبينما يكون
في شظف نجد إذ تشبث بريف العراق ، سئل أبو الطيب المتنبي عنه وعن
أن تمام وعن نفسه فقال ، أنا وأبو تمام حكيمان والشاعر البحتري ، ولعمري
إنه أنصف في حكمه وأعرب بقوله هذا عن متانة علمه ، فإن أبا عبادة أتى في
شعره بالمعنى المقدود من الصخرة الصماء ، واللفظ المصنوع من سلاسة الماء ،
فأدرك بذلك بعد المرام ، مع قربيه إلى الأفهام ، وما أقول إلا أنه أتى في
معانيه بأخلاق الغالية ، ورقى في ديباجة اللفظ إلى الدرجة العالية .

أما أبو الطيب المتنبي فإنه أراد أن يسلك مسلك أبي تمام فقصر عنه خطاه
ولم يعطه الشعر من قياده ما أعطاه ، ولكنه حظى في شعره بالأمثال والحكم
واختص بالابديع في وصف القتال ، وأنا أقول قولاً لست فيه متأثماً ولا منه
مثلما ، وذلك أنه إذا خاض في وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها ،
وأشجع من أبطالها ، وقامت أقواله لك مقام أفعالها ، حتى تظن الفريقين قد
تقابلوا ، والسلاحين قد تواصلوا ، فطريقه في ذلك تفضل بسالكه ، وتقوم
بعذر تاركة ، ولا شك أنه كان يشهد الحرب مع سيف الدولة بن حماد
فيصف لسانه ، ما أدى إليه عيانه ، ومع هذا فاني رأيت الناس عادلين فيه

عن سنن التوسط ، فأما مفرد في وصفه وأما مفرد ، وهو وإن انفرد
 بطريق صار أبا عذره ، فإن سعادة الرجل كانت أكبر من شعره ، وعلى الحقيقة
 فإنه خاتم الشعراء ، ومهما وصف به فهو فوق الوصف وفوق الاطراء ،
 ولقد صدق في قوله من أبيات يمدح بها سيف الدولة :

لا تطالبن كريما بعد رؤيته إن السكرام بأستخام يدا ختموا
 ولا تبال بشعر بعد شاعره قد أفسد القول حتى أحمد الصمم

ولما تأملت شعره بعين المعدلة البعيدة عن الهوى ، وعين المعرفة التي
 ماض صاحبها وما غوى ، وجدته أقسامه خمسة ، خمس في الغاية التي انفرد
 بها دون غيره ، وخمس من جميد الشعر الذي يساويه فيه غيره ، وخمس من
 متوسط الشعر ، وخمس دون ذلك ، وخمس في الغاية المتفجرة التي لا يعبا بها
 وعدمها خير من وجودها ، ولو لم يقلها لوقاه الله شرها ، فإنها هي التي ألبسته
 لباس الملام ، وجعلت عرضه شارة لسهام الاقوام .

ولسائل هاهنا أن يسأل ويقول ، ولم عدلت إلى شعر هؤلاء الثلاثة دون
 غيرهم فأقول ، إنني لم أعدل إليهم اتفاقا وإنما عدلت إليهم نظراً واجتهادا .
 وذلك أني وقفت على أشعار الشعراء قديمها وحديثها حتى لم أترك ديوانا
 لشاعر مفلق ثبت شعره على المحك إلا عرضته على نظري ، فلم أجد أجمع
 من ديوان أبي تمام وأبي الطيب للمعاني الدقيقة ولا أكثر استخراجا منهما
 للطيف الاغراض والمقاصد ، ولم أجد أحسن تهذيبا للالفاظ من أبي عبادة
 ولا أنقش ديباجة ، ولا أبهج سبكا منه ، فاخترت حينئذ دواوينهم لاشتمالها
 على محاسن الطرفين من المعاني والالفاظ ، ولما حفظتها ألغيت ما سواها
 مع ما بقي على خاطري من غيرها .

وقال فيما عقد من موازنات تطبيقية بينهم ومعهم أحيانا غيرهم ، واعلم
 أن من أبين البيان في المفاضلة بين أرباب النظم والنثر ، أن يتوارد اثنان من
 الشعراء على مقصد من المقاصد يشتمل على عدة معان كتوارد البحترى
 والمتنبي على وصف الأسد ، وقصيدتهما مشهورتان ، فأول إحداهما :

أجذك ما ينفك يسرى لزينا
وَأول الأخرى : خيال إذ آب الظلام تأوبا

في الخد إن عزم الخليط رحىلا
وهذا أبين في المفاضلة من التوارد على معنى واحد يصوغه هذا في بيت
من الشعر أو بيتين ، ويصوغه الآخر في مثل ذلك ، فان بعد المدى يظهر مافي
السوابق من الجواهر ، وعنده يتبين ربح الرابع وخسر الخامس .
أما البحرى فانه ألم بطائفة بما ذكر بشر بن عوانة في أبياته الرائية
التي أولها :

أفاطم لو شهدت بيطن خبت
وهى من النمط العالى الذى لم يأت أحد بمثله ، وكل الشعراء لم تسم
قرايحهم إلى استخراج معنى ليس بمذكور فيها ، ولولا خوف الاطالة لأوردتها
بجملتها ، لكن لغرض إنما هو المفاضلة بين البحرى وأبى الطيب فيما أورداه
من المعانى فى هذا المقصد المشار إليه ، فما جاء للبحرى فى قصيدته :

وما نقيم الحساد إلا أصالة
لديك وفعلا إريحيا مهذبا
وقد جربوا بالأمس منك عزيمة
فضلت بها السيف الحسام المجربا
غداة لقيت الليث والليث مخدر
يحدد نابا للقاء ومخلبا
إذا شاء غادى عانة أو غدا على
عقائل سرب أو تقنص زبرا
شهدت لقد أنصفته يوم تنبرى
له مصلتا عضبا من البيض مقضبا
فلم أر ضرغامين أصدق منكما
عراكا إذا الهيابة النكس كذبا
هزبرا مشى يبغي هزبرا وأغلبا
من القوم يغشى بأسل الوجه أغلبا
أدل بشغب ثم هالته صولة
رآك لها أمضى جنانا وأشغبا
فأحجم لما لم يجد فيك مطمعا
وأقدم لما لم يجد عنك مهربا
فلم يغنه أن كر نحوك مقبلا
ولم ينجه أن حاد عنك منكبا
حملت عليه السيف لا عزمك انتى
ولا يدك ارتدت ولا حده نبا

وما جاء لأبى الطيب فى قصيدته .

أمعز الليث الهزير بسوطه
 ورد إذا ورد البحيرة شاربا
 متخضب بدم الفوارس لا بس
 ما قوبلت عيناه إلا ظنتا
 في وحدة الرهبان إلا أنه
 يظأ الثرى مترفقا من تيهه
 ويرد عفرته الى يافوخه
 قصرت مخافته الخطأ فكأنما
 ألنى فريسته وزجر دونها
 فتشابه القربان في إقدامه
 أسد يرى عضويه فيك كليهما
 ما زال يجمع نفسه في زوره
 وكأنما غرته عين فاذنى
 أنف الكريم من الدنية تارك
 والبار مضاض وليس بخائف
 خذله قوته وقد كلفته
 سمع ابن عمته به وبخاله
 وأمر بما فر منه فياره
 تلف الذى اتخذ الجراءة خلة

لمن ادخرت الصارم المصقولا
 ورد الفرات زئيره والنيلا
 في غيله من لبدته غيلا
 تحت الدجى نار الفريق حلولا
 لا يعرف التحريم والتحليلا
 فكأنه آس بحس عليلا
 حتى تصير لرأسه إكليلا
 ركب الكمي جواده مشكولا
 وقربت قربا خاله تطفيللا
 وتخالفا في بذله المأكولا
 متسا أزل وساعدا مقتولا
 حتى حسبت العرض منه الطولا
 لا يبصر الخطب الجليل جليلا
 في عينه العدد الكثير قليلا
 من حقه من خاف مما قليلا
 فاستنصر التسليم والتجديلا
 فضى يهول أمس منك مهولا
 وكقتله ألا يموت قتيلا
 وعظ الذى اتخذ الفرار خليلا

وسأحكم بين هاتين القصيدتين . والذى يشهد به الحق وتقفية العصبية أذكره ،
 وهو أن معاني أبي الطيب أكثر عددا ، وأسد مقصدا ، ألا ترى أن البحترى
 قد قصر مجموع قصيدته على وصف شجاعة الممدوح في تشبيهه بالأسد مرة
 وتفضيله عليه أخرى ولم يأت بشيء سوى ذلك ، وأما أبو الطيب فإنه
 أتى بذلك في بيت واحد هو قوله .

أمعز الليث الهزير بسوطه لمن ادخرت الصارم المصقولا

ثم انه تمخّن في ذكر الأسد فوصف صورته وهيئته ، ووصف أحواله في انفرده في جنسه وفي هيئة مشيه واختياله ، ووصف خلق بخله مع شجاعته وشبه الممدوح به في الشجاعة وفضله عليه بالسخاء ، ثم انه عطف بعد ذلك على ذكر الأنفة والحمية التي بعثت الأسد على قتل نفسه بلقاء الممدوح وأخرج ذلك في أحسن مخرج وأبرزه في أشرف معنى ، وإذا تأمل العارف بهذه الصناعة أبيات الرجلين عرف ببديهة النظر ما أشرت اليه ، والبحترى وإن كان أفضل من المتنبّي في صوغ الألفاظ وطلاوة السبك ، فالمتنبّي أفضل منه في الغوص على المعاني ، وما يدلّك على ذلك أنه لم يعرض لما ذكره بشر في أبياته الرائية ، لعلّه أن بشرأ قد ملك رقاب تلك المعاني واستحوذ عليها ولم يترك لغيره شيئا يقوله فيها ، ولفظانة أبي الطيب لم يقع فيما وقع فيه البحترى من الانسحاب على ذيل بشر ، لأنه قصر عنه تقصيرا كبيرا ، ولما كان الأمر كذلك عدل أبو الطيب عن سلوك هذه الطريق وسلك غيرها فجاء فيما أدرك مبرزا .

وبما تفجّح فيه المفاضلة أن يسلك الشعرا ن طريقا واحدة فتخرج بهما إلى موردن أو روضتين ، وهناك يتبين فضل أحدهما على الآخر . فما جاء من ذلك قول أبي تمام في مرثيته بولدين صغيرين ، د لعبن الله بن طاهر ماتا في نهار واحد ، :

مجد تاوب طارقا حتى إذا	قلنا أقام الدهر أصبح راحلا
نجمان شاء الله ألا يطلعا	إلا ارتداد الطرف حتى يافلا
إن الفجيعة بالرياض نواضرا	لأجل منها بالرياض ذوايلا
لحقى على تلك الشواهد فيهما	لو أخرت حتى تمكون شمائل
إن الهلال إذا رأيت نموه	أيقنت أن سيكون بدرا كاملا
قل للأمير وإن لقيت موقرا	منه يريب الحادثات حلاحلا
إن ترز في طرفي نهار واحد	رزأين هاجا لوعة وبلا بلا
فالثقل ليس مضاعفا لمطية	إلا إذا ما كان وهما بازلا
لا غرو إن فتنان من عيدانه	لقيا حماما للبرية آكل

إن الأشاء إذا أصاب مشذب منه أهل ذوا وأث أسافلا
 شمتت خلا لك أن يواسيك امرؤ أو أن تذكر ناسيا أو غافلا
 إلا مواعظ قادها لك سمجة إسجاح لبك سامعا أو قاتلا
 هل تكلف الأيدي هزمه ند إلا إذا كان الحسام الصافلا
 وقال أبو الطيب في مرثيته بطفل صغير « لسيف الدولة »
 فان تك في قبر فانك في الحشا وإن تك طفلا فلا شئ ليس بالطفل
 ومثلك لا يبكي على قدر سنه ولكن على قدر الفراسة والأصل
 ألت من القوم الذي من رماحهم ندام ومن قتلاهم مهجة البخل
 بمولودهم صمت اللسان كغيره ولكن في أعطافه منطق الفضل
 تسليمه علياؤهم عن مضاهمهم ويشغلهم كسب الثناء عن الشغل
 عزأوك سيف الدولة المقتدى به فانك نصل والشدائد للنصل
 تخون المتأبا عهده في سليله وتنصره بين الفوارس والرجل
 بنفسى وليد عاد من بعد حملة الى بطن أم لا تطرق بالجل
 بدا وله وعد السحابة بالروى وصدوفنا غلة البلد المحل
 وقد مدت الخيل العتاق عيونها الى وقت تبديل الركاب من النعل
 وريع له جيش العدو وما مشى وجاشت له الحروب الضروس وما تغلى
 فتأمل أيها الناظر الى ما صنع هذان الشاعران في هذا المقصد الواحد ،
 وكيف هام كل واحد منها في واديه مع اتفاقهما في بعض معانيه ، وسأبين
 لك ما اتفقا فيه وما اختلفا وأذكر الفاضل من المفضل فأقول ،
 أما الذي اتفقا فيه فان أبا تمام قال .

لهنى على تلك الشواهد فيهما لو أخرت حتى تكون شمائل
 وقال أبو الطيب .

بمولودهم صمت اللسان كغيره ولكن في أعطافه منطق الفضل
 فأتى بالمعنى الذي أتى به أبو تمام وزاد عليه بالصناعة اللفظية ، وهي المطابقة
 في قوله صمت اللسان ومنطق الفضل ، وقال أبو تمام .

نجمان شاء الله ألا يطلعا إلا ارتداد الطرف حتى يأقلا
وقال أبو الطيب .

بداوله وعد السحابة بالروى وصدوفينا غلة البلد المحل
فوافقه في المعنى وزاد عليه بقوله وصدوفينا غلة البلد المحل لأنه بين قدر
حاجتهم الى وجوده وانتفاعهم بحياته ، وأما ما اختلفا فيه فان أبا الطيب أشعر
فيه من أن تمام أيضا ، وذلك أن معناه أمتن من معناه ، ومبناه أحكم من مبناه ،
وربما أكبر هذا القول جماعة من المقلدين الذين يقفون مع شبهة الزمان وقدمه ،
لا مع فضيلة القول وتقدمه ، وأبو تمام وإن كان أشعر عندى من أبى الطيب
فان أبا الطيب أشعر منه فى هذا الموضع ، وبيان ذلك أنه قد تقدم القول على
ما اتفقا فيه من المعنى ، وأما الذى اختلفا فيه فان أبا الطيب قال .

عزؤك سيف الدولة المقتدى به فانك نضل والشدائد للنصل
وهذا البيت بمفرده خير من بيتى أبى تمام اللذين هما .

إن ترز فى طرفى نهار واحد وزأين هاجا لوعة وبلا بلا
فالثقل ليس مضاعفا لمطية إلا إذا ما كان وهما بازلا
فان قول أبى الطيب والشدائد للنصل أكرم لفظا ومعنى من قول أبى تمام
إن الثقل إنما يضاعف للبازل من المطايا ، وقول المتنبتى أيضا .

تخون المتايا عهده فى سليله وتنصره بين الفوارس والرجل
أشرف من بيتى أبى تمام اللذين هما .

لا غرو إن فتنان من عيدانه لقيا حماما للبرية آكلا
إن الأشاء اذا أصاب مشذب منه اتمهل ذرا وأت أساقلا
وكذلك قول أبى الطيب .

أست من القوم الذى من رماهم ندامهم ومن قتلاهم مبهجة البخل
تسليمهم علياؤهم عن مصابهم ويشغلهم كسب الثناء عن الشغل
خير من بيتى أبى تمام اللذين هما :

شمخت خلالك أن يواسيك امرؤ أو أن تذكر ناسيا أو غافلا

إلا مواظظ قادهما لك سمجة . إسماع لبك سامما أو قاتلا
وبعد هاتين أشار ابن الأثير الى موازنة بين المتنبي والبحترى في رثاء الأول
أخت سيف الدولة بقصيدته التى أولها .
يا أخت خير أخ يا بنت خير أب . كناية بهما عن أشرف النسب
ورثاء الثانى لامرأة أيضا بقصيدته التى أولها .

غروب دمع من الأجفان تنهمل وحرقة بغليل الحزن تشتعل
مفضلا المتنبي أيضا بأنه انفرد بابتداع ما أتى به فى قصيدته ، فى حين أتى
البحتري بما أكثره غث بارد ، والمتوسط منه لا فرق فيه بين رثاء امرأة
أو رجل ، ومن الواجب أنه إذا سلك النظم أو النثر مسلكا فى غرض
من الأغراض ألا يخرج عنه ، كالذى سلكه هذان الرجلان فى الرثاء بامرأة
فان من حداقة الصنعة أن يذكر ما يليق بالمرأة دون الرجل ، وهذا الموقع
لم يأت فيه أحد بما ثبت على المحك إلا أبو الطيب وحده . وأما غيره من
مقلقي الشعراء قديما وحديثا فانهم قصروا فيه عنه ؛ وله فى هذا المعنى قصيدة
أخرى فى رثاء والده سيف الدولة مفتوحة :

نعد المشرفة والغوالى وتقتلنا المنون بلا قتال

وكفى بهما شاهدا على ما ذكرته من انفراده بالابتداع فيما أتى به .
والفتيا عندى بينه وبين البحتري ، أن أبا الطيب أنفذ فى المضيق ، وأعرف
باستخراج المعنى الدقيق ، وأما البحتري فانه أعرف بصوغ الألفاظ وحوك
ديباجتها ، وقد قدمت أن الحكم بين الشاعرين فى اتفاقهما فى المعنى أبين
من الحكم بينهما فيما اختلفا فيه ، لأنهما مع الاتفاق فى المعنى يتبين قهر لاهما
ويظهر أن ظهورا يعلم ببديهية النظر ، ويتسارع اليه فهم من ليس بشاقب الفهم ،
وأما اختلافهما فى المعنى فانه يحتاج فى الحكم بينهما فيه ، إلى كلام طويل يعز
فهمه ولا يتفطن له إلا بعض الناس دون بعض ، بل لا يتفطن له إلا القذ
الواحد من الناس . وكذلك أشار ابن الأثير الى موازنة أخرى بين البحتري
والشريف الرضى على ذكر الذئب فى قصيدة الأول التى أولها .

سلام عليكم لا وفاء ولا عهد أما لكم من هجر أحباكم بد
ومقطوعة الثاني التي أولها :

وعارى الشوى والمنكين من الطوى أتيح له بالليل عارى الأشاجع
وكان حكمه أن البحترى أجاد فى وصف حاله مع الذئب ، وأن الشريف
أجاد فى وصف الذئب نفسه . وينبغى أن نشير هنا إلى أن ابن الأثير أغفل فى
هاتين الموازنتين المشار إليهما ذكر القضايد الأربعة ، كما لم يذكر قصيدة بشر بن
عوانة فى وصف الأسد ، وقد ذكرتها كلها فى كتاب المطالعة التوجيهية ، إذ
كان القسم المختار من المثل السائر من نصيبى فى العمل به ، فليرجع إليها هناك ،
اللهم إلا لامية البحترى فى رثاء امرأة لاقى لم أجدها فى ديوانه ولم أهد إليها
فى مرجع غيره ، ولذلك استعصت بمراثيته لبنت أبى نهشل الطوسى التى
أخفق فيها كل الاخفاق ومطلعها :

أتبكي من لا ينازل بالسيف مشيحا ولا يهز اللواء
وانما ذكرتها هناك دلالة على أن البحترى وهذه نظراته إلى النساء لم يك
من شأنه أن يحسن لهن الرثاء .

وبعد

فهنأ ما عن لى ذكره عن تاريخ النقد الأدبى فى العصر العباسى على عهده
الأربعة ، أما بعد ذهاب تلك الدولة من المشرق ، فلم يك له مجال فى التاريخ ،
لأن الأحداث توالى على الأدب فى شرق الدولة وغربها ، فجفت عيون
وصوحت رياضته ، ومن ثم عصفت بالنقد الزعاع وطوحت به الأعاصير ،
ولله فيما أراد الحكمة ، ولنا منه العظة والاعتبار .

السباعى بيومى

تضافر المستشرقين والمصريين

لنشر المؤلفات المخطوطة

نما سبقنا إليه الغربيون عناية المستشرقين منهم ببحث السكروز الشرقية في عالم المؤلفات المخطوطة وكلها نفيس ونادر ، وساعد على هذا أنهم تخصصوا في كل فرع من فروع الثقافة ، وأن مراجع كل فرد تحت أيديهم بالمئات وأن لكل مرجع منها فهرس منظمة لسكل ما اشتمل عليه : إلفهرس للشعراء ، وآخر لرجال السند ، وثالث للأعلام ، ورابع للأمم والقبائل والارهاط والعشائر ، وخامس للأماكن ، وسادس لأسماء الكتب التي ورد ذكرها في هذا المرجع وهكذا ، فكل ما يحتاج اليه الباحث من هذه ومن غيرها يستطيع العثور عليه بنظرة خاطفة بفضل هذا التنظيم المثمر الذي قامت دعائمه على تضافر علماءهم وجميعياتهم الثقافية ، وسجاء أغنيائهم ، وتقديرهم العميق لسكل ما يوضح جانباً من جوانب الثقافة الشرقية التي هي جزء لا يتجزأ من الثقافة الانسانية .

وقد كان همنافيا مضى أن نستفيد من آثار المستشرقين هؤلاء بشراء ما طبعوه من مباحث أو نشره من دفاين في مدائتهم الكبرى ومكتباتهم العامة ، أو في بعض حواضرنا الشرقية إذا ضمنوا أن يشرف على طبعه جبهة منهم أو من إحدى جمعياتهم العلمية .

أما الآن فقد رأينا فتحاً جديداً في مصر في هذا الميدان ، وتضافر المستشرق « ١ » ليفي بروقنسال ، أستاذ اللغة والحضارة العربية بالسربون ومدير معهد الدراسات الاسلامية بجامعة باريس مع دار المعارف بمصر . وكان من نتائج هذا التضافر نشر كتاب مخطوط ثمين من أمهات كتب الآتساب

وهو «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم الاندلسي المتوفى في منتصف القرن الخامس الهجري، فكفى الباحثين متونة البحث المرهق المضي في صحارى المخطوطات القديمة التي هي أشبه بالغاز الخطوط الهيروغليفيه، أو المسارية أو الحميرية ومهدوا بفهارسه كثيرا بما نريد.

فهل إذا عثر المتصفح لهذا الكتاب على بعض هنات يعود بعضها إلى المطبعة يرفع عقيدته بالويل والثبور والنقد والتجريح وينسى الجوانب المشرفة لهذا المجهود الجبار.

إن الانصاف يقتضى أن نشكر المستشرق البعثة، ونثنى على دار المعارف، لأنهم إختاروا فأحسنوا الاختيار، واجتهدوا وللمجهود حظه من التقدير.

فاذا مازل القلم، فلا تثريب عليهم مادامت الحسنة أكثر، ومادامو لم يألوا جهدا يبعث هذا الكتاب الذى بلغت صفحاته أكثر من خمسمائة صفحة وبلغت أعلامه وقبائله عشرات الآلاف، فوق خطه المغربى الذى لا يكاد يقرأ، وما تسكفه من صبر وجلد ومال وبحت ووقت، وما يحوطه بعد كل أولئك من مستقبل مجهول.

هذا جرائى لمن طلبوا إلى إبداء رأى فى هذا الكتاب، أما إرشادهم إلى بعض ما ند فى أثناء التصحيح، أو ما سها عنه حضرة الأستاذ المستشرق فسانشر منه فى كل فترة عشرين منها، وإلى حضراتهم ما وعده به:

(١) أول ما عثرت عليه منها كان فى صفحة ٣٦٦ وقد جاء فى السطر الثالث: «ومن بنى عرينه بن نذير قسر بن عبقر: حية بن جوين بن (م)» هكذا بكسر نون نهم وضم نون نذير.

وصوابه (نهم) بضمها يؤيد ذلك ما جاء فى أحدث مؤلفاتى (قاموس الاعلام والقبائل) وقد اعتمدت فيه على أمهات المعاجم اللغوية وكتب الانساب المبسوطة بالحروف لا بالحركات، وما جاء فى مؤلف القبائل ومختلفها لابن حبيب، ص ٥، وما ورد فى القاموس المحيط للفيروزى فى

هذه المادة وكتب اللغة الأخرى ويميل إلى أنه تابع في هذا الضبط بعض المستشرقين الآخرين ، أو التبس عليهم الأمر ، بينهم همدان بن ربيعة بن مالك لأنه بالكسر .

(٣) وفي ص ٢٢٠ في الكلام على بني عبد الله بن دازم ذكر خمسة منهم ثم قال أهم من بني « أسيد » بسكون الياء وصواب تشديدها كما في ص ٤٥ من المؤلف ، وضبط المستشرقين لاشتقاق ابن دريد ، بل بدليل ضبط الناشر نفسه قبل ذلك في ص ١٩٩ في الجهرة .

(٣) وفي صفحة ١٩٠ أمران شرحهما أن المؤلف قال في نسب بلال بن الحارث أنه من بني مازن بن حلاوة بن ثعلبة ، فشاء الأستاذ الناشر أن يضبط الباقي هكذا « بن هدمة » ، « ابن الأصم » والصواب في الأول « هذمة » بالذال المنقوطة وفي الثاني « لاطم » لا الأصم .

وقد أشار إلى الصواب فيهما معا الفيروز أبادي في قاموسه في مادة « هدم » ، مختلف القبائل صفحة ٣ بل ان الجهرة نفسها ص ١٩٢ اعترفت بلاطم بن عثمان فوق أن أسد الغابة ج ٢ ص ٢٩٥ أثبت هذا الاسم في ترجمة « شريح بن ضمرة المزني » وهو أول من قدم بصدقة مزينة على النبي « ص » وترجمة « عبد الله ابن درة المزني » ج ١ ص ١٥٢ وقبل هذا أثبت القاموس المحيط في مادة « جرس » حقيقة الاسم الثاني وهو لاطم فقال : « جرس بن لاطم بن عثمان بن مزينة » لا الأصم .

(٤) وفي ص ١٩٢ : ولد ضبة بن أد : سعد بن ضبة وسعيد قتله الحارث ابن سعد ، ثم قتل ضبة الحارث بن كعب وفي ذلك سارت الامثال : « أسعد أم سعيد » والصواب سعيد بضم السين وفتح العين ، كما في المعاجم اللغوية ، وكما في « قاموس الاعلام والقبائل » .

(٥) وفي الصفحة التالية (١٩٣) قال المؤلف منهم — من بني ضبة — ضرار بن عمرو بن مالك بن زيد بن كعب ثم جعل المصحح أباكعب (بجاء)

ابن ذهل بن مالك والصواب (بجالة) بن ذهل بن مالك بلام وتاء مربوطة بعد الألف بدل الدال بدليل الاشتقاق لابن دريد في كلامه عن قبائل بني ضبة ورجلهم ص ١١٩ وقد تكون هذه غلطة مطبعية عند إحساننا الظن .

(٦) وفي صفحة ٢١٠ قال في ترجمة زهرة التميمي قاتل جالينوس الفارسي (زهرة) بضم الزاي بن (جويرية) والصواب (زهرة) بفتح الزاي، جويرية صوابها (حوية) و (جوية) فالأولى بالحاء المفتوحة والواو المكسورة ، والثانية بالجيم المضمومة والواو المفتوحة ، ويراجع في هذا أسد الغابة فقد ضبطها بالحروف لا بالحركات .

(٧) وفي ص ٢١٣ تحدث المؤلف في نسب بني ربوع بن حنظلة بن مالك التميمي فقال : منهم واقد بن عيد مناف بن (عزين) بن ثعلبة وكررها بهذا الضبط وهذه الحروف والحق أن عيد مناف هو ابن (عرين) بالعين المفتوحة لا المضمومة والراء المهملة المكسورة لا الزاي المفتوحة ، ولم تختلف كتب الانساب في هذا الضبط ولا النكت التي تصدت لضبط الاعلام والقبائل كمختلف القبائل ص ٤٦ وكذلك القاموس المحيط في مادة (عرن) والاشتقاق ص ١٣٥ .

وقد أجمعوا على أن عرين من بني تميم المضريين ، وأن عربته بضم العين وفتح الراء المهملة والتاء المربوطة من بجيلة إحدى القبائل التيمية الكبرى .

(٨) وفي نفس الصفحة تكلم المؤلف عن مالك ومتمم ابن نويرة بنجاء المصحح الناشر وجعل أبا نويرة (نمرة) بن شداد بن عبيد بن ثعلبة والصواب (جمرة) كما في صفحة ٣٥ من المؤلف فقد قال : (جمرة) بالجيم بن شداد بن عبيد بن ثعلبة .

(٩) وفي ص ٢ عند الكلام على ذكر المههم التميمي جعل من أجداده (كافية) بن حرقوص وفعل مثل هذا في نسب خفاف بن هير ، وأعاد الاسم بهذا الضبط ٤ مرات سهوا في أنساب هلال بن أجوز وقطري بن

الفجاءة والصواب (كأبيه) بن حرقوص بالباء التحتية بدل الباء الفوقية
يراجع هذا في الاشتقاق لابن دريد ص ١٢٦ وخزانة الادب للبغدادى ،
ومختلف القبائل ص ٣٦ .

(١٠) وفي ص ٢٠١ جمل الجد الثالث لمالك بن الربيع التميمي صاحب
القصيد التي رثى بها نفسه عند موته (حبيل) بن ربيعة بيا ويا مشناه على
هيئة المصغر والصواب (حسل) بالحاء والسين واللام كما في المراجع السابقة.
وحسبى هذا الآن ، وفي العدد التالي سأذكر عشرين هنة بعد
هذه العشر .

عبد العزيز مزروع الأزهرى
المدرس بالقبة الثانوية



كيف نشأ الوزن والقافية

في الشعر العربي

للمؤلف الأستاذ أحمد محمد الحوفي

المدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

نشأة عربية خالصة . رأى ابن رشيق في نشأة الوزن والرد عليه ،
رأى في نشأته ، مراحل هذه النشأة : السجع ، التفتي بالسجع ، علاقة الشعر
بالقناء ، مظاهر هذه العلاقة في نشأة الوزن والقافية

(١)

نشأت الموسيقى الشعرية — الوزن والقافية — نشأة عربية خالصة
خالصة من تأثير أمة أخرى ، لأن الأوزان العربية ليست لأمة من الأمم
القديمة ، ولأن السريان القدماء ، كانوا ينظمون بغير أن يلتزموا قافية
واحدة ، والعبرانيون لم يلتزموا الوزن ولا القافية ، وقد يشترطون القافية
دون الوزن ، (١) فيعبر شعر العبرانيين في هذه الصورة الأخيرة شبيهاً بالسجع
العربي ، ولهذا لما سمعوا القرآن الكريم — وهو ذو فواصل وتصوير
شعري — زعموا أنه شعر بالقياس إلى تصورهم للشعر .

ولا سبيل إلى احتمال أن الوزن العربي متأثر بالفارسي ، لأن الشعر
الفارسي القديم كان مجهولاً للفرس أنفسهم حين اختلطوا بالعرب ، بل
لا يزال تاريخ الأدب الفارسي اليوم مجهول ما كان عليه الشعر الفهلوي أي

الشعر الفارسي قبل الإسلام ، ولذا نشأ الشعر القارسي في القرن الثالث للهجرة على غرار الشعر العربي في موضوعاته وأوزانه وقوافيه مع بعض تجوير يسير . حتى إن الفرس نقلوا الأوزان العربية وسموها بأسمائها ، ونقلوا مصطلحات العروض كلها .

وليس بصحيح ما مال إليه جرجي زيدان من أنه نشأ متأثرا بشعر الرومان أو اليونان ، إذ قال :

« امرؤ القيس أول من أطال القصائد وتفنن في نظمها ، وفتح الشعر ، وبكى ووصف »

ولعله تنبه لهذا التفنن في أثناء أشعاره في بلاد الروم ، فسمع أشعارهم أو أشعار اليونان ، والنبيه تتفق قريحته بالاختلاط ، فزاد اختباره ، فأدخل في الشعر ما أدخله ، وكان الشعراء في الجاهلية قلما يدخلون بلاد الروم ، وإنما كانوا يقفون على الحدود في اللقاء عند بني غسان ، أو في الحيرة عند بني الحماص ، إلا قليلا ، (١) .

وهذا رأى مردود ، لأن امرؤ القيس قد افتن قبل أن يرحل إلى بلاد الروم افتتانه كله ، ولأنه قضى نحبه وهو عائد فضاغ معه ما اقتبس إن صح أنه اقتبس شيئا ، ولأن القصيدة العربية كانت قد نضجت وكمل وزنها واستوت قافيتها قبل أن يرحل امرؤ القيس إلى قيصر بل قبل أن يولد ، فلم يلهل مثلا خال امرئ القيس وأسن منه وله قصائد جياد طوال .

على أن شعر اليونان والرومان خال من القافية ، والأوزان العربية غير أوزان اليونان والرومان ، والموضوعات نفسها متغايرة فليس في الشعر الجاهلي ملاحم ولا مسرحيات كالتى عند اليونان والرومان .

(٢)

وقد قال ابن رشيق في نشأة الوزن العربي : إن العرب احتاجوا إلى الغناء بمكارم أخلاقهم ، وطيب أعرافهم ، وذكر أيامهم الصالحة ، وأوطانهم النازحة ،

وفرسانهم الأنجاد ، وسمحاتهم الأجواد ؛ فتوهموا أعاريض جعلوها موازين الكلام ، فلما تم لهم وزنه سموه شعرا ، لأنهم شعروا به أى فطنوا (١) .
ولسكن هذا الرأى يفضى إلى أن العرب اهتدوا إلى الأوزان عن تعمد وقصد ومواضعة ، وليس هذا بشئ لأن نتاج الإلهام - والشعر إلهام - لا يخضع إلى المواضعة والموافقة ، ثم من حقنا أن نتساءل لماذا توهموا هذه الأوزان عنها ولم يتوهموا غيرها ؟ ولماذا لم يقتصروا على بعضها دون بعض ؟ وكيف تواضعوا على هذه الأوزان واتفقوا على اختلاف ديارهم وتباعد أوطانهم وتحضر بعضهم وتبدى بعضهم ؟
نحن إذأ لا نقبل هذا الرأى ، فهل نستطيع أن نبدى غيره ؟
سنحاول ذلك راجين أن نهتدى إلى صواب .

(٣)

١ - ما من شك فى أن الناس تسلكوا أولا بالنثر وسيلة للتفاهم وتحقيق المنافع ، ثم تأتى بعضهم فى تعبيره تساميا بالقول أو تصويرا لعاطفة جياشة فآثرن كلامه اثرانا نشأ منه السجع ، فأعجبه وقعه فأكثر هو وأمثاله من هذا الطراز ، وحببه إليهم ماله من تأثير فى النفوس ورنين فى الآذان ، ولهذا كان من خصائص الممتازين بالكلام الرائع والمعبين عن العاطفة ، والراغبين فى التأثير والاستمالة ، كالرؤساء والسكبان والسحرة ، ليجتذبا بموسيقاه قلوب الناس ويموهو عليهم ويمتلكوا عواطفهم ، ويخدروا وعيهم ، ويحدثوهم بما يزعجونهم العليمون به ، فيسمع الناس عنهم مصدقين لما يقولون ، غير متبصرين فى نقد ما يسمعون وتقضى معانيه ، ولذلك قد يلجأ السجاعون إلى نوع من الغموض فيحملون الكلمة أو الجملة عدة معان لينذهب السامعون فى فهمها كل مذهب ، وقد يقحمون كلمات لا معنى لها وإنما جاءوا بها لوزن الكلام وترنيم الوقفة .

وقد اتهم العرب النبى عليه الصلاة والسلام بأنه ساحر « قال الكافرون

إن هذا لساحر مبین ، (١) وبأنه كاهن وشاعر « وما هو بقول شاعر . قليلا ما تؤمنون ، ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون » ، (٢) ، لأنه يتحدثهم بالقرآن الكريم فيسحرهم ببلاغته ، ويبهركم بموسيقاه وفواصله ، فهو في نظرهم صادر عن قدرة في النبي فوق قدرهم .

وقد تغنى الناس بهذا الكلام المسجوع لأنه أكثر ملاءمة للغناء والتلحين من غير المسجوع ، فنشأت الأوزان والقافية ، وقبل أن نكشف عن طريقة هذه النشأة نهد لها بكلمة في علاقة الشعر بالغناء عند العرب وغير العرب .

ب — ارتبط الشعر والغناء في النشأة الأولى ارتباطاً وثيقاً ، ولا غرابة في ذلك ، لأنهما معاً يصدران من العاطفة ويعبران عنها . فبواعث الغناء هي بواعث الشعر ، ثم إن الموسيقى خصيصة فيهما معا ، ففي الغناء موسيقى النغمات والألحان ، وفي الشعر موسيقى الألفاظ والأوزان ، ولذلك لانعرف شعباً قديماً تغنى بالنثر ، لأن الناس إن تغنوا به أول الأمر لا يلبثون أن يحسوا أن الغناء بالكلام الموزون أولى ، وأكثر طواعية للتنظيم والترنيم وظواهر هذا الارتباط كثيرة في الأدب العربي القديم وفي غيره من الآداب ، فقد كان شعراء العصر الجاهلي يغنون شعرهم وينشدونه وهم يلقونه ، كما روى أن المهلهل شرب خمرأ وتغنى بقصيدته التي مطلعها .

طفلة ما ابنة الحلل بيضا . . . لعوب لذينة في الحناق (٣)
والسليك بن السلسكة غنى بقوله :

يا صاحبي ألا لاحي بالوادي . . . سوى عبيد وآم بين أذواد
أتظن أن قريبا ريث غفلتهم . . . أم تغدوان فان الرج للغادي (٤)
والاعشى كان يغنى في شعره فكانت العرب تسميه صناجة العرب ، (٥)
وكان يتردد على اليمن ويسمع الغناء ويشرب الخمر ، ويسمع الربط ،
ويقول :

وكعبة فجران حتم عليك حتى تناخى بأبوابها

(٢) سورة الحاقة

(١) سورة يونس

(٣) الأغاني ٥ — ١٠ الدار

(٤) الأغاني ١٨ — ١٣٤ ساسي

(٥) الأغاني ٩ — ١٠٩ الدار

زور يزيد وعبد المسيح . . . وقيسا وهم خير أربابها
وشاهدنا الجل والياسمين والمسمعات بقصاها
وبربطنا دائم منعمل . . . فأى الثلاثة أزرى بها

وهؤلاء الذين ذكرهم أساقفة نجران ، وكان يزورهم ويمدحهم ويمدح
العاقب والسيد وهما ملكا نجران ، ويقم عندهما ما شاء يسقونه الخمر
ويسمعونه الغناء الرومى . فإذا انصرف أجزلوا صلته . (١)

ومزدد بن ضرار الذيبانى أو أخوه جزء يقول فى تهديده أعداءه
بالهجاء الممض : إنه يقتحم الخصومة لا يبالى ، لأنه يتعرض فى كل شيء أو
لأنه ذو فتون وذو حذق ، وهو كفيل بأن يرميهم بأهاج مرة يتغنى بها السارى
ويحدو بها الأبل :

فقد علموا فى سالف الدهر أننى . . . معن إذا جدا لجراؤنا بل
زعيم لمن قاذفته بأوابد . . . يغنى بها السارى ويتحدى الرواحل (٢)
وأبو النجم فى العصر الإسلامى يطلب من قينة أن تغنيه ببعض ما كان
يغنى به امرؤ القيس وعمرو :

تغنى فإن اليوم يوم من الصبا . . . ببعض الذى غنى امرؤ القيس أو عمرو (٣)
وظلت اللغة العربية محتفظة بلفظ الانشاد للدلالة على إلقاء الشعر وإن لم
يصاحبه غناء ، مما يدل على صلة عريقة بين هذين الفنين ، قال حسان بن ثابت
إن قلت شعرا فتغن به :

تغن بالشعر إما كنت قائله إن الغناء لهذا الشعر مضمار (٤)
وقال ذو الرمة إنه يتغنى باسم حبيبته ، أى ينشد الشعر فيها :

(١) الاغانى ٦ — ٦٩ — ٧٠ ساس

(٢) المفضليات ١ — ٩٨ . شاعر وهارون ممن : متعرض فى كل شيء أو ذو فتون
« القاموس والاساس » الجراء : الجرى . النابل : الحاذق أو الراى بالشك . أوابد .
غرائب القول يريد بها الاهاجى المرة . (٣) الشعر والشعراء ٤٢ — ٤٣

(٤) المبدعة ٢ — ٢٤١

أحب الممكان القفر من أجل أننى به أتغنى بإسمها غير معجم (١).
وقال المتنبي في مدح سيف الدولة إنه طائر غرد، وإن الدهر يتغنى بشعره
وإن شعره يغنى به من ليس من شأنه الغناء :
أجزنى . إذا أنشدت شعراً فأنما أناك بشعري المادحون مرددا
ودع كل صوت غير صوتي فأنى أنا الصائح المحكى والآخر الصدى
وما الدهر إلا من رواة قصائدى إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير مشمرا وغنى به من لا يغنى مغردا (٢).
وما زال الناس يطلقون على الرجل الذى ينشدهم فى المحافل قصصا شعرية
كمتنرة وأبى زيد اسم الشاعر . وهو لا يلقى شعرا فحسب بل يتغنى به
على الربابة .

* * *

على أن شعراء العصر الجاهلى أكثروا من التحدث بالمغنيات ، ولا سيما
بعد ما قوى اتصال العرب بالفرس والروم والحبس ، وكثرت القيان فى بلاد
العرب . قال طرفة فى معلقته إنه شرب الخمر هو وندماؤه ، وأطربتهم فينة
رخيمة الضوت :

ندامىبيض كالنجوم وقينة روح إلينا بين برد ومجسد
رحيب قطاب الجيب منها رفيقة بجس الندامى ، بضة المتجرد
إذا نحن قلنا أسمعنا أنبرت لنا على رسلها مطروقة لم تشدد
إذا رجعت فى صوتها خلت صوتها تجاوب أظآر على ربع ردى (٣)
وقال امرؤ القيس إنه إن صار مكروبا فقد طالما فرج همه بسباع مغنية
تعزف على عود :

وإن أمس مكروبا فيارب قينة منعمة أعملتها بكران
لها مزر يعلو الخنيس بصوته أجش إذا ما حركته يديان (٤)

(١) الممددة ٢ — ٢٤١ (٢) الديوان ١ — ١٩٣ شرح البرقوقى طبعة الرخامة
سنة ١٩٣٥ (٣) ديوان طرفة ٢٨ — ٢٩ (٤) ديوان امرؤ القيس — ١٨٧ السندوبى

وامرؤ القيس صاحب أخبار في اللهو والخمر والغناء ، فقد روى أنه لما طرده أبوه « كان يسير مع جماعة من شذاذ العرب ، فإذا صادف غديرا أو روضة أو موضع صيد أقام فذبح لمن معه في كل يوم ، وخرج إلى الصيد فتصيد ، ثم عاد فأكل وأكلوا معه ، وشرب الخمر وسقاهم ، وغنته قيانة (١) ، وقد افتخر سلامة بن جندل بمغنيتهم البيضاء الحسناء الفليحاء العفيفة :

وعندنا قنية بيضاء ناعمة مثل المهابة ، من الحور الخرايع
تجرى السواك على غر مفاجئة . لم يفرها دنس تحت الجلايب (٢)
ويظهر أن الخمر كانت تصحب بالغناء في الأعم الأكثر ، فهذا عمر بن الإطناية يفخر باحتساء الخمر المصفاة ، ويسماع القيان العازقات على الدفوف لفتيان القبيلة ، حدث أبو الفرج أنه دعا بشرا به وقيانة فغنين له بقوله في رثاء خالد بن جعفر لما قتله الحارث بن ظالم :

عللاني وعللا صاحبيا واسقياني من المروق ريا
إن فينا القيان يعزفن بالدف لفتياننا وعيشا رخيا (٣)
وهذا علقمة يفخر بأنه يتادم على الخمر أو يستمع إلى المزهر .
قد أشهد الشرب فيهم مزهر رنم والقوم تصرعهم صهباء خرطوم (٤)
وعدد عبد يفرث من مفاخر ماضيه الذي يتحسر عليه وهو في الأسر أنه كان يشق رداءه بين القيتين وينجر للنداء مطيته :

وأنحر للشرب السكرام مطيتي وأصدع بين القيتين ردايا (٥)
وكان مجلس الشراب والغناء يمتد إلى الهزيع الأخير من الليل ، قال كعب بن الأشرف في نخره :

ولنا بئر رواء جمّة من يردها بئانا يعترف

(١) الأغاني ٩ - ٨٧ الدار
جم خرعوبة البينة البيضاء الجميلة ، لم يفرها : لم يلق بها (٣) الأغاني ٩ - ١٦٤
الدار ١٠ - ٢٨ ساسي (٤) المفضليات ٢ - ٢٠٢ شاكر وهارون . الخرطوم أول ما ينزل منها وهي صافية (٥) المفضليات ١ - ١٥٦

ونخيل في قلاع حمة تخرج التمر كأمثال الأكف
وصرير في بحالي خلة آخر الليل أهاليج بدف (١)
وارتبطت نشوة الخمر ولذة الغناء بالمتعة بالنساء، فهذا برج بن مسهر الطائي
يفتخر بالخر وسماع للقيان، فتداعى في ذهنه خواطر اللذات فيفتخر أيضا
بالاستمتاع بالنساء الحسان المنعمات اللاتي يغتسلن بالماء الحار :

وفينا مسمعات عند شرب وغزلان يعد لها الخميم (٢)
وقد فصل عبدة بن الطيب ما أجمله غيره، فقال إن القينة كانت تطربهم
بغناء الشعر الرائع الذائع، فهم في نشوة من تطريبها، وفي طرب من الشعر،
وهم لذلك يمنحونها ويخلعون عليها :

ثم اصطبحت كميثا قرقفا أنفاً من طيب الراح، واللذات تعليل
صرفاً، مزاجاً، وأحياناً يعللنا شعر كذهبة السمان محمول
تذرى حواشيه جيداء آنسة في صوتها لسماع الشراب ترتيل
تغدو علينا قتلها ونصفدها تلقى البرود عليها والسرائيل (٣)

وكان بمكة قينتان فارسيتان لعبدالله بن جدعان تغنيان الناس (٤). وكان
بالمدينة قينة أوحى إليها أهل المدينة أن تغنى النابغة بقصيدة من شعره فيها
إقواء فتتقط له وأصلحه (٥) وكانت هريرة - معشوقة الأعشى - وأختها
خليدة قينتين لبشر بن عمرو بن مرثد. وكانتا تغنيانه النصب وقدم بهما إليهم لما
هرب من النعمان (٦)

وقد تحدث حسان عن بعض لياليه عند جيلة بن الأيهم في الجاهلية،
فقال إنه سمع عشر قيان، خمس روميات يغنين بالرومية بالبرابط وخمس

(١) طبقات الشراء، لابن سلام ١١١٠ الخلة : الخربط حمة : كثير الماء

(٢) الحماسة ٢ - ٨٣

(٣) المضليات ١٠ - ١٤٣ قرقف : تردد شاربها . أنف : لم يشرها أحد قبله . السمان :
وشى مقارب محكم محمول ، مروي . تذرى : ترفع أو تقط حواشي أغانيها تطربها وترجيها
نصفدها . نمطها . (٤) الاغانى ٨ - ٣٢٧ الدار (٥) الاغانى ٩ - ١٥٧ ساسي

(٦) الاغانى ٨ - ٧٧ ساسي

يغنين غناء أهل الحيرة ، وكان يفد إليه من يغنيه من العرب من مكة وغيرها (١).

وكانت الأمهات يغنين بالشعر وهن يرقصن أطفاهن ، من ذلك قول منقوسة بنت زيد الخيل وهي ترقص ولدها :

أشبه أخى أو أشبهن أباكا أما أنى فلن تنال ذاك
تقصّر عن مثاله يداكا (٢)

وهن يبكين على موتاهن بغناء حزين هو النواح كما ناحت الخنساء على أخوها وكما ناحت هند بنت عتبة على أبيها وعمها وأخيها (٣).
وكن يغنين في المعارك ليشجعن الرجال على الاستبسال، كما غنت إحدهن في يوم ذي قار :

إن تهزموا نعاقت ونقرش التارق
أو تهربوا نفارق فراق غير وامتق (٤)

وطالما غنى الرجال بشعر حماسى وهم يحارون ، كما فعل عمير بن الحمام إذ سمع النبی ﷺ يحرض المسلمين على قتال المشركين في بدر ويعدهم الجنة ، فقاتل القوم حتى قتل ، وهو يقول :

ركضا إلى الله بغير زاد إلا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد وكل زاد عرضة النفاق
غير التقى والبر والرشاد

وكما قال أبو البختري حين نازله المجذر في الغزوة نفسها - وكان المجذر أخبره أن الرسول ﷺ نهى عن قتله . ولكنه قاتل دفاعا عن زميله الذى أبى المسلمون قتله - :

(١) الاغانى ١٦-١٤ ساسى (٢) المرأة العربية ١-١٧٢

(٣) الاغانى ١٣-١٢٩ ساسى (٤) الاغانى ٤-٣٤ ساسى

(٥) تاريخ الطبرى ٢-١٥٣ وسيرة ابن هشام ٣-١٣ .

لن يسلم ابن حرة أكيله حتى يموت أو يرى سبيله (١)
 وحدثت السيدة عائشة أن سعد بن معاذ مر عليها - وهي في حصن بني
 حارثة يوم الخندق ، وأم سعد معها - وعليه درع مقلصة قد خرجت منها
 ذراعه كلها ، وفي يده حربة يرقده - يسرع - بها ويقول :
 لبث قليلا يشهد الهيجا حمل لا بأس بالموت إذا حان الاجل
 فقالت له أمه : الحق يا بني فقد والله أخرت (٢)
 وما يدل على غنائهم أمام الجيش قول درهم بن يزيد في قصيدة يهددها مالك بن العجلان
 لأصحابين داركم بذى لجب جون له من أمامه عزف (٣)

وكانوا يتغنون بالشعر فرادى ويتغنون جماعات ، فقد روى عن أنس
 بن مالك وعن السيدة عائشة أنه لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جعل النساء
 والصبيان وذوات الخدور يغنين بقولهن :

طلع البدر علينا من ثنيات الدواع
 وجب الشكر علينا مادعا لله داع
 أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع (٤)

وبنو النضير لما أجلاهم النبي عن المدينة خرجوا يريدون خيبر وهم
 يضربون بدفوف ويزمرون بالزامير (٥)

وفي حفر الخندق رأى النبي عليه الصلاة والسلام ما بالصحابة من تعب
 وجوع ، لأن الزمن كان عسرة والعام عام مجاعة فقال متمثلا بقول ابن رواحة :
 اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة
 وأجابه الصحابة بقولهم :

نحن الذين بايعنا محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا
 وقال ﷺ متمثلا أيضا بقول ابن رواحة ، وهو ينقل التراب وقد
 وارى الغبار جلد بطنه الشريف :

(١) تاريخ الطبري ٢ - ٢٨١ المطبعة الحسينية (٢) تاريخ الطبري ٣ - ٤٩

(٣) الاغانى ٣ - ٢٢ الدار (٤) السيرة الحلبية ٢ - ٥٨

(٥) الاغانى ٢ - ٥٨

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إذ لا قينا
والمشركون قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أينا
وكان يمد صوته ويكرر : أينا ، أينا .

ورى أنه ﷺ لما بدأ بالحرف في الخندق قال :

بسم الإله وبه ديننا ولو عبدنا غيره شقينا
يا حذار يا وحب ديننا (١)

ولم يكن الشعر العربي وحده هو المتصل بالغناء هذا الاتصال الوثيق ،
فقد كان الشعر اليوناني كذلك ولهذا أطلق اليونان على الشاعر كلمة Aede أى
المغنى فى القرن الثانى عشر والحادى عشر قبل الميلاد ، وكان هو ميروس
يتغنى بالإلبادة على آلة موسيقية خاصة . ولم يكن التغنى بالشعر عند اليونان
وفقا على نوع معين منه ، فقد تغنوا به فى مناجاة الآلهة وفى مدح الملوك ،
وفى إلقاء القصص ، وكان الشعر التمثيلى يوضع حوارا وأناشيد غنائية .

« على أن الشعر الغنائى اكتسب هذه التسمية من نسبته إلى كلمة lyre وهى
آلة موسيقية قديمة فسمى lyric Poetry أى الشعر الغنائى » (٢)

وكان أرسطو يرى أن الشعر الغنائى مرتبط أشد الارتباط بالموسيقى (٣).
ثم نشأت بأوروبا فى العصور الوسطى جماعات من الشعراء الجوالين يطوفون
بالبلاذ ويتغنون بشعرهم ، وقد أطلق عليهم فى غرب أوروبا ووسطها التروبادور
Troubadour وسموا فى شرقها بالمنسنجر Minnsinger .

وفى اللغة الانجليزية كلمة Bard معناها الشاعر المنشد الذى يؤلف الشعر
ويغنيه . وهو يحمل معه أداة موسيقية يعزف عليها حين يلقى شعره ويغنيه .
ح - وما من شك فى أن الغناء يقتضى أن يكون الكلام الذى يغنى
موزونا ، لأن الغناء متبعث عن عاطفة ، والمنفصل يتغنى بعاطفته وخواطره

(١) السيرة الحلبية ٢ - ٣٣٢

(٢) أصول النقد الأدبى ص ٣١٨ أحمد الشايب (٣) قواعد النقد الأدبى

لاسلكرومى ترجمة محمد عوض مجلد ٧٠

غناء ملاماً لهذه العاطفة ، ولذا فإن الموسيقى الشعرية لا بد أن تلائم الحالة النفسية للقاتل ، يقول الناقد الانجليزي جرينج لامبورن Greening Iamborn « إن الموسيقى خارجية وداخلية ، والعروض يتكفل بالخارجية ، أما الداخلية فتتكفل بها مقاييس صوتية في داخل النفس أكثر مرونة وشمولاً من العروض » (١)

فالوزن ظاهرة طبيعية للعبارة مادامت تؤدي معنى انفعاليا ، وعلم النفس يقرر أن الإنسان المنفعل تبدو عليه ظاهرات جثمانية عملية كاضطراب النبض وضعف الحركة أو قوتها وسرعة التنفس أو بطئه ، وحركة الأيدي قبضا وبسطا ، وهذه نفسها دليل على ما في النفس من قوة طارئة « فاللغة التي تصور هذا الانفعال لا بد أن تكون موزونة ، ذات مظاهر لفظية متباينة لقلائم معناها وتكون صداه الصحيح » (٢) ولا سبيل إلى وزنها إلا أن تكون ذات تقاطيع وتراجيع وأجزاء متناسبة الأطوال والأصوات .

والغناء كان من دأب العربي وهو يقطع المسافات الطوال على راحلته ، تمشى به ممتدة أو مرقلة ، وهو يهتز هزات تبطئ وتسرع ، وتطول وتقص ، ومن دأبه وهو يهجم في الحرب فيجرى أو يثب ، ومن دأبه وهو يمتح الماء من البئر فيرتفع وينخفض ، ومن دأبه وهو يرقص ، ومن دأبه وهو يزاول عملاً تصعبه العاطفة ، وتعوزه التسلية الخ يغنى فيقطع صوته وفقاً لحركات جسمه وهزات نفسه ، وتقطع كلماته ومقاطعها إلى أجزاء متزنة منسجمة ، لأن صلة الغناء بالشعر من شأنها أن تحدث ذلك .

فهذه اللحمة التي وصلت الغناء بالشعر تحولنا أن نقول إن التغنى بالكلام المنشور عسير ، لأنه لا يطاق التراجع ، ولا يلين الترنيم ، وبذلك لا تستحليه الأذن ولا يستسيغه اللسان .

فن الطبيعي أن يتغنى الناس بكلام موزون يسير ألحان الغناء ، وتطرب

له الأذان، وهم لذلك قد تغنوا بالسجع لما فيه من موسيقى الوقفات، ثم حاولوا أن يخضعوا هذه اللغة المسجوعة إلى النغمات التي تطابق العاطفة وتطاول النغم فتخيروا الكلمات المتسقة مع النغم الذي في النفس، وتصرفوا في بعض الكلمات بتحريك الساكن وتسكين المتحرك وقصر الممدود ومد المقصور، وترخيم بعض الأسماء وتثني ما لا ينون إلى غير ذلك مما يعد ضرورات شعرية، وتصرفوا أيضا في الأوزان نفسها بحذف وزيادة وتحريك وتسكين مما يعد من الزخافات والعلل العروضية.

فصارت اللغة التي يتغن بها الناس لغة موزونة تلائم حركاتها وسكناتها ومداها ووقفاتها الأنغام التي يتغنون بها، والألحان التي يرجعونها، والنفس وهو يطول أو يقصر، ويسرع أو يبطل، فنشأ الوزن منوعا كتنوع التلحين الفطري، واستراحت النفس لهذا التقطيع، وجعل المغني به يوليه من عنايته وتجويده، وجرت به الألسنة محتفيه ملتذة، وغير على ذلك ردها من الدهر كان كفيلا بنقلته من الطفولة إلى الصبا.

وهنا، وفي هذه النقطة نشأ الوزن من الغناء بالكلام المسجوع.



٥ — ونشأت القافية أيضا هذه النشأة، فهي في أول أمرها كانت سجعة ثم التزمت في آخر الأبيات كلها تمشيا مع الغناء، لأنها قوية الشبه بوقفات المغنين، ونهايات العازفين، وسكنات الناقرين على الدف، والمصنفين بالأكف، والموقعين بأرجلهم في الرقص، فهي نهاية النفس في البيت، واستراحة من البيت إلى البيت، ولأنها مضافة إلى الوزن تسكسب الشعر ريننا وتزيده موسيقى.

وقد أسهلت القافية للشاعر العربي لغتي اللغة بالمفردات الكثيرة ذات النهايات الواحدة، ففيها « من القوافي المتناسبة ما يتعذر وجود نظيره في سائر اللغات، فلا يسوغ لها أن تبرز عاطلا مع توفر ذلك الحلي الشائق، فإذا اقتصر الأفرنجي على صوغ شعره كالرجز العربي لم يكل شطرين قافيتان متتامتان

ينقل منهما الى غيرهما واضطر إلى تكرارهما بعد حين ، أو لو اختار أن يعرى شعره من القوافى بتاتا فعذره أن لغته هكذا خلقت ، بل لو أجهد نفسه في مواضع كثيرة لتعذر عليه تعزيز قافيتين بثالثة ، والشاعر العربي بخلاف ذلك ، فإن كثيرا من ضروب القوافى تنهال عليه انهيال الغيث ، وإذا انحبست فلا تفجس إلا لقصر باع أو لقرع باب ضيق ، أو لتجاوز الحد في إطالة القصيدة المنظومة على قافية واحدة (١)

* * *

هـ — ثم تنوعت البحور وفق الموضوع ووفق الحالة النفسية للقائل ، لأن الموسيقى الشعرية المعبرة هي التي تساير موضوع القصيدة ، وتوائم التجربة الشعرية ، يقول سبنسر : « إن خير الموسيقى ما تتماشى مع الأفكار وتتساق مع المعاني ، وتتجاوب نغماتها ونبراتهما مع حالات النفس ، فالشاعر في احتياجه وغضبه وغيظه يكون تعبيره الموسيقي على النعمة وفي حزنه يكون منخفضها ، وفي تعجبه وفرحه وهدوئه واطمئنانه تكون مسافات الصوتية قصيرة ، وأما في بثه وألمه فتكون مسافات الصوتية طويلة ، وهكذا تساير النغمات حالات النفس كما تساير موضوع القصيدة وفكرته (٢) » .

وهذه النشأة الغنائية أو النشأة الموسيقية للوزن هي التي مكنت الخليل بن أحمد أن يهتدى إلى علم العروض ، ولولا علمه بالموسيقى والتوقيع ما تهدى إلى الكشف عن قواعد هذا العلم ، وحسبنا أنه ألف كتابا في النغم كما ذكر ابن خلكان (٣) ، وكان إخوان الصفا على حق إذ رأوا أن الموسيقى مماثلة لقوانين العروض (٤) .

وبما يعزز هذا الرأي أن الاوزان التي استحدثت بعد العصر الأموي كانت أيضا وليدة الموسيقى ، فالوشجات الأندلسية نشأت متأثرة بالغناء

(١) مقدمة ترجمة اليازدة البستاني ص ٩٥

(٢) الشعر المناصر . مصطفى الصقر ص ١١٥

(٣) وفيات الاعيان ١٧٢/١ (٤) الرسائل ١٤٤/١ طبعة مصر

والموسيقى لتلائم الأوزان الشعرية الألحان الموسيقية .

ولذلك لم يتصور نقاد العرب الشعر إلا موزونا مقفى ، فثلا ابن رشيق جعل أركانه أربعة : اللفظ والمعنى والوزن والقافية (١) ، وأبو هلال العسكري جعل من مراتب الشعراء العالية التي لا يلحقه فيها غيره من الكلام أنه منظوم (٢) و - ولا يقدح في هذا أن شعر بعض الأئمة لا يلتزم الوزن والقافية كالشعر القبطي ، فانه - على ما وصفه هرمن بونسكر - يجرى على غرار الشعر الفرعوني ، فلا يراعى الوزن والقافية ، لأنه يستعيز عن هذا النقص بقيم موسيقية يراعيها في كل بيت ، تكفل انسجام الكلمات وتوقيعها ، وذلك بالتوافق في جرسها وتتابعها في ترتيب يحدث نغمة موسيقية ، شأنه في ذلك شأن الشعر في اللغة المصرية القديمة (٣) .

ومع ذلك فإن خلو الشعر من الوزن يحرمه خاصية من خواص جماله وتأثيره ، وإذا كان الكاتب الأمريكي والتمان Walt witman قد هجر الوزن في معظم شعره واحتذاه كثير من جذبتهم الدعوة إلى التحرر من الأوزان ، وإذا كان أيضا لم يأبه للقافية ، فإنه قد اهتم بالإيقاع ، وقد بلغ شعره درجة إيقاعية عالية ، (٤) فهو إذا يريد أن يعوض ما عمد إلى حذفه ، يريد أن يضيف على شعره المجرد من الوزن والقافية جمالا أسلوبيا آخر ، ولكن هذه الدعوة لم تصادف قبولا .

وكيف تصادف قبولا والوزن من أهم الخصائص التي تميز الشعر من النثر ولذا قال لاسل إبركر ومي Lascelles Abercrombie في كتابه (الشعر : موسيقاه ومعناه) : « يلزم أن تصبغ الموسيقى كل التصيد في الشعر الغائي » (٥)

أحمد محمد الحوفي

المدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

(١) المعلقة ٧٧/١ (٢) الصناعتين ١٣١

(٣) مجلة الرسالة . المجلد الأول ص ٧١٨ سنة ١٩٣٦ . (٤) الشعر المعاصر

ص ١١٨ السجرتي . (٥) Poetry, its Music & Meaning عن الشعر

المعاصر ص ١٨٨

خالد بن يزيد بن معاوية

عبد الرزاق صمير

الأستاذ بكلية دار العلوم

لا نجد كتابا تحدث عن نشأة العلوم في الإسلام إلا نسب إلى خالد بن يزيد الفضل الأول في الاشتغال بالعلوم - وخاصة الكيمياء - وتوجيه أنظار المسلمين وأذهانهم إليها قبل أن يحىء عصر الترجمة والنهضة العلمية في أيام العباسيين :

يقول عنه الجاحظ في البيان والتبيين : إنه كان خطيبا شاعرا، وفصيحاً جامعاً، وجيد الرأي كثير الأدب ، وكان أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء .

ويقول ابن النديم في الفهرست إنه « عني بإخراج كتب القدماء في الصنعة، وكان خطيباً شاعراً ، فصيحاً ، حازماً . وهو أول من ترجم له كتب الطب والنجوم وكتب الكيمياء . . . وقد رأيت من كتبه : كتاب الحرارة . كتاب الصحيفة الكبير - كتاب الصحيفة الصغير - كتاب وصيته إلى ابنه في الصنعة ، .

أما ابن خلكان فيقول عنه : « إنه كان من أعلم قریش بفنون العلم ، وله كلام في صنعة الكيمياء والطب ، وكان بصيراً بهذين العلمين متقناً لهما ، وله رسائل دالة على مخرفته وبراعته ، وأخذ الصنعة عن رجل من الرهبان

يقال له « مريانس » ، وله فيها ثلاث رسائل ، تضمنت إحداهن ماجرى له مع مريانس ، وصورة تعلمه منه ، والرموز التي أشار إليها .
ويقول عنه ياقوت في معجم الأدباء . « وما نسبوا إليه من التصانيف في السكيميا : السر البديع في فك الرمز المنيع .
وظاهر من هذا أن المؤرخين يجمعون على أنه أول من اشتغل بالصنعة - السكيميا - . ونخلص من أقوالهم بما يأتي :

(١) أن خالدا ترجم كتباً في السكيميا عند الجاحظ ، وترجمت له عند ابن النديم ، ولا خلاف بين القولين . فالمراد بالترجمة أن بعض المشتغلين بهذه الصنعة من الأجانب المقيمين بالشام قد ساعده على نقل بعض المعارف اليونانية في السكيميا وكان لخالد فضل توجيههم إلى هذه الترجمة وتشجيعهم عليها .
(٢) وأنه اتصل بمريانس يتعلم منه هذه الصنعة فحاول أن يكون عالماً لاشمجة فقط .

(٣) أما السكتب التي تنسب إليه فقد قرر ابن النديم أنه رأى بعضها ، ونحن نعتمد عليه كثيراً . ولانستطيع أن نرفض ما يقوله هنا ولكن لنا أن نفهم في هذه الكتب أنها كانت مجموعة صغيرة من الأوراق موضوعاتها مختلفة ، فكانت منها هذه السكتب . وهذا يناسب حالة العلوم في الدولة الإسلامية في ذلك العهد .

أما أهمية هذا العمل من الناحية اللغوية أو الأدبية فهي أن البدء بالترجمة والتأليف في هذه الناحية العلمية فتح أفقاً جديداً أمام الأساليب العربية وساعد على اتجاه الكتابة إلى الأسلوب العلمي الذي يعنى بالحقائق ، ويتجنب الزخرف ، ويضع المصطلحات ، ويخص بعض العلوم ببعض الأساليب والكلمات ، وساعد على نقل بعض طرق التفكير والبحث إلى ميدان الثقافة العربية ، فشارك العلوم اللسانية والدينية في وضع أسس اللغة والأساليب العلمية عند العرب .

لكن ما الذى حمل خالدا على الاشتغال بهذه العلوم والعناية بها وترجمتها؟ لا شك أن استعداداه ومحبته لطريقتها فى البحث أو ميله إلى ما تعالجه من موضوعات كان السبب الأول - وأقول هذا على الرغم مما يقال من أنه كان يبنى الوصول إلى الذهب عن طريق هذه الصنعة ليشتري به قلوب الناس ويستعين به على استرداد الخلافة من بنى مروان - وأضيف إلى هذا أن اتصاله بعلماء السريان سهل له الاستعانة بهم فى كثير مما يحتاج إليه للاشتغال بهذا العلم. ولعلمهم أمدوه بالآلات والمعلومات والمساعدين، وقد يكون حرمانه الخلافة بعد أن كانت قريبة منه سببا صرفه إلى الاشتغال بهذه الصنعة ليشغل نفسه عن اللوم من جهة، وعن المنافسة فى الخلافة من جهة أخرى، بعد أن رأى ما أصاب غيره من الخارجين عليها كعمرو بن سعيد.

...

وقد اشتغل بالعلوم الأجنبية أو استفاد منها قوم من العرب اتصلوا بالثقافة الأجنبية قبل خالد، وفى ترجمة الحارث بن كادة الثقفى طبيب العرب المشهور أنه عرف طب الفرس ورحل إلى بلادهم، وتعلم فى مدرسة جنديسابور. وكذلك ابنته النضر بن الحارث. وكان طبيعيا فى المدارس والأديرة الموجودة فى الشام والعراق التى كانت تشتغل بالمسائل الدينية والعلمية على آثار اليونان والرومان أن تجذب بعض العرب إليها وأن يكون اهتمامهم بها أشد وأعظم بعد أن صاروا دولة متحضرة تتخذ حاضرتها فى دمشق الشام تلك المدارس.

...

أما الناحية التى يكتفى المؤرخون بالإشارة إليها فى خالد، فهى الناحية الأدبية، وليكنهم محعون على أنه كان فصيحاً شاعراً خطيباً حازماً جيد الرأى. وليس شئ من ذلك غريبا على حفيد معاوية. غير أن ما بقى من أخباره وأدبه قليل ومشتور فى كتب متفرقة يشهد له بالتقدم فى كل ما سبق. أوشك أن يكون خليفة بعد موت أخيه معاوية الثانى لكن وجود

ابن الزبير في الحجاز جعل الناس يعدلون عنه لصغر سنه ، وأبوا أن ينافسوا به . وهو شاب ، الخليفة الشيخ عبد الله بن الزبير في الحجاز ، فتخطوه الى مروان بن الحكم وإن لم ينسوه في ولاية العهد أول الأمر . ثم حرماها وانتقلت إلى عبد الملك بن مروان . وكان خالد يشغل مروان بن الحكم فأراد أن يذله كي لا يثور عليه ، واستشار أصحابه فيما يفعل فأشاروا عليه أن يتزوج أمه ليزله ويخضعه ففعل . وكان مروان سريع العيب بذي اللسان . وجادله خالد يوما فسب أمه فغضب وتغيظ ، وذهب إلى أمه حزينا مهتما وأخبرها الخبر ، فطبيت خاطره ، وأخبرته أنه لن يعود لمثلها أبدا ، وعزمت على الانتقام . فلما جاءها مروان أوعزت إلى الجوارى أن يكتمن أنفاسه بالوسائد إذا نام فعقلن فوجد ميتا في فراشه . وعرف عبد الملك بذلك ، فهم بقتلها ولم يمنعه إلا الحياء أن يشيع أنه قتل امرأة بأمر المؤمنين .

ولخالد مع عبد الملك مناظرات تدل على فصاحته وحضور بديهته : قالوا إن عبد الملك هدده مرة بالسطوة والحرمان ، فقال له خالد : أتهددني ويد الله فوقك مانعة ، وعطاؤه دونك مبذول !

أما أطول المناظرات المروية بينه وبين عبد الملك فهي التي كانت بشأن سباق بين عبد الله بن يزيد أخى خالد وبين الوليد بن عبد الملك ، روى أن أخاه عبد الله بن يزيد أجرى الخيل مع الوليد بن عبد الملك فسبقه .

فدخل الوليد على خيل عبد الله فنفرها ولعب بها فجاء عبد الله إلى أخيه خالد فقال له : لقد هممت اليوم بقتل الوليد بن عبد الملك . فقال له خالد مستكبرا : بئس ما هممت به في ابن أمير المؤمنين ، وولى عهد المسلمين ! فقال عبد الله : إنه لقي خيلي فنفرها وتلاعب بها ! فقال له خالد أنا أكفيك . ثم دخل على عبد الملك وعنده الوليد فقال له : يا أمير المؤمنين إن الوليد ابن أمير المؤمنين لقي خيل ابن عمه عبد الله فنفرها وتلاعب بها فشق ذلك على عبد الله .

فرد عبد الملك عليه ردا فيه عز السلطان وسطوة الملك إذ تمثل بقول
ملكه سبأ كما يحكيه القرآن الكريم : « إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها
وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون » . فغاض الرد خالداً وأثاره ،
فأجابه جواباً أقسى وأشد ، وعمد إلى المعين الذي أخذ منه عبد الملك وهو
القرآن الكريم ، فكان في حضور بديته قوى الجواب قاسى الرد ، قال
مقتبساً : « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفياً ، ففسقوا فيها فحق عليها
القول فدمرناها تدميراً » .

لم يقنع عبد الملك بما سمع ولا كتبه تراجع وكان لبقاً في تراجعه فقال :
« أما والله نمر المرء عبد الله ، على لحن فيه » ! فقال له خالد : « أفعلى الوليد
تعول مع اللحن ؟ » فقال عبد الملك : « إن يكن الوليد لحانا فأخوه
سليمان » . قال خالد : « وإن يكن عبد الله لحانا فأخوه خالد » . فكان
تبعه لطريقة عبد الملك دليلاً على منطقته المفعم لحصمه ، لأنه من جنس
حجته . ثم قال له عبد الملك : « مدحت والله نفسك يا خالد » ، قال : « وقبل
والله مدحت نفسك يا أمير المؤمنين » . قال : « ومتى ؟ قال : « حين قات :
أنا والله قاتل عمرو بن سعيد ، حق والله لمن قتل عمرو أن يفخر بقتله » !
قال عبد الملك : « أما والله لعمر و كان أطولنا باعاً ! » . قال خالد : « أما
والله إنى أرى ثأرى فى مروان صباح مساء ، ولو أشاء أن أدليه لأدلته -
يريد أخذه للخلافة منهم - قال عبد الملك يفض النزاع بعد أن أخذه البيان
والبدنية الحاضرة : ما أجراك على يا خالد ! خلنى عنك . قال : لا والله .
قال الشاعر :

ويجر اللسان من أسلات الحر ب ما لا يجرمها البنان

فأحس عبد الملك أن الرفق أولى ، والتودد أملك للقلب ، فقال لابنه
الوليد : يا وليد : أكرم ابن عمك ، ففقد رأيت أباه يكرم أباك ، وجده
يكرم جدك .

ولو نقل البناء التاريخ كل ما كان له من أدب لرأينا مثلاً من

أمثلة الفصاحة العربية في حضور بديتها ، وسداد جوابها ، ولمله اكتفى بشاهد من فصاحته ليسكون دليلا على ما بعده .

وإذا نظرنا إليه نظرة أخرى بعيدة عن العلم والسياسة رأينا رواة أخباره ينقلون عنه ما يدل على أنه كان يحسن الموعدة والتذكير كما يفعل الصالحون ، فقد سئل : ما أقرب شيء ؟ قال الاجل . قيل له : فما أرجى شيء ؟ قال : العمل . قيل فما أوحش شيء ؟ قال : الميت . قيل : فما آنس شيء : قال : الصاحب المؤاتي ذو المساعد ،

وقيل له : ما الدنيا ؟ قال : ميراث . قيل : فلأيام ؟ قال : دول . قيل : فالدهر ؟ قال : أطباق — أحوال — والموت يكمل سبيله ، فليحذر العزيز النذل ، والغنى الفقر ، فكم عزيز قد ذل ؛ وكم من غنى قد افتقر .

ولعل هذا القول الشبيه بأقوال الحكماء يدلنا على جانب آخر من صفاته وأخلاقه يشير إليه ياقوت الحموي في معجم الادباء رواية عن ابن حاتم إذ يقول : « كان خالد من الطبقة الثانية من تابعي أهل الشام ، وقيل أنه روى الحديث عن أبيه وعن دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه ، وروى عنه الزهري وغيره ، وأخرج البيهقي ، والخطيب ، البعدادي ، والعسكري ، والحافظ بن عساكر عنه عدة أحاديث .

ولا أدري كيف نوفق بين هذا القول الذي يجعل يزيد بن معاوية راويا من رواة الاحاديث وبين ما عرف عنه من لهو وشراب . ويعتمد روايته أولئك المحدثون والمؤرخون ! إنها مسألة تدعو إلى التساؤل والتحقيق . ولو اقتصر نقلهم عن خالد لكان أهون .

قيل عن خالد إنه كان من صالحى القوم ، وكان يصوم الجمعة والسبت والاحد ، وكان جودا ممدحا ، يقدر الادب ويثيب عليه ، جاءه رجل فقال له : إنى قد قلت فيك بيتين ولست أشدهما إلا بحكى : فقال له قل فقال :

سألت الندى والجود : حران أتما فقالا : بلى ، عبدان بين عبيد
فقلت : ومن مولا كما ؟ فطاوولا على ، وقالوا : خاله بن يزيد
فقال له تحكم . فقال : مائة ألف درهم فأمر له بها .

ويروى له شعر في التذكير بالموت يقول فيه :

أتمجب أن كنت ذا نعمة وأنتك فيها شريف مهيب
فكم ورد الموت من ناعم وحب الحياة إليه عجيب
أجاب المثية لمادعت وكرها يجيب لها من يجيب
سقتة ذنوبا من أنفاسها ويذخر للحى منها ذنوب

أما الابيات التي نسبتها إليه مشهورة ، في قوله في زوجته رملة بنت
الزبير بن العوام :

أليس يزيد السير في كل ليلة وفي كل يوم من أحببتنا قربا ؟
أحن إلى بنت الزبير وقد عدت بنا العيس خرقا من تهامة أو نقبا
إذا نزلت أرضا تحبب أهلها إلينا ، وإن كانت منازلهم حربا
وإن نزلت ماء - وإن كان قبلها مليحا - وجدناه ماء باردا عذبا
تجول خلا خيل النساء ولا أرى لرملة خلا خلا يجول ولا قلبا
أقلوا على اللوم فيها فاني تخيرتها منهم زيرية قلبا
أحب بنى العوام طرا لحبها ومن حبها أحببت أخوالها كلبا

ومات في خلافة الوليد بن عبد الملك بعد أن ترك له ذكرا خالدا كاسمه
في تاريخ العلوم العربية ونشأتها . كما ترك للادب ومؤرخيه فرصة للحديث
عن بيانه وفصاحته .

عبد الرزاق صهيبة

الاستاذ بكلية دار العلوم

حديث رمضان :

صمت وأصوم . . . !

للمستاذ خلف القاضي

مدرس بالمدارس الثانوية الأميرية

صمت ، لأنى مسلم ، ونشأت فى بيت مؤمن محافظ . . .
وأصوم ، لأن فى لياليه الجميلة ، يحيا أدب الفرقان ، وتقوى الصلوات ،
وتجدد الأواصر بين العشائر والأسرات . . .

* * *

صمت ، لأن فيه مساواة بين الرجال والنساء ، وعدلا بين المترفين
والفقراء وديمقراطية مع الأحرار والأرقاء
وأصوم لأن رمضان ، أشق عمل يؤديه الإنسان ، وأنبى فضيلة قررها
الدين ، مع الزكاة . . .

* * *

صمت ، لأن فى الحمية غذاء للروح ، وصفاء للنفس ، وراحة للبطن . . .
وأصوم ، لأن فى الحرمان امتحانا لضبط النفس ، وقهرا لمشبوب
العاطفة . وحدا من عنفوان الشباب . . .

* * *

صمت فى نهار يوليو المديد ، وسوف أصوم فى يوم يناير القصير ،
لأنه يسير الفلك ، ويدور مع الفصول والأعوام . . .
وأصوم فى بلاد العرب الحارة ، وفى جو اسكتلاندة البارد أو مناخ
كليفورنيا المعتدل . . .

صمت ، لأن الحاكم العسكري ، قال لي : قدم سناعتك صيفا ، وآخرها شتاء ، فتجبرت ، واستمعت لقول الله « ثم أتمو الصيام إلى الليل ، فأطعت . وأصوم لاتفاق المسلمين في الشرق والغرب على موعد الصيام ، فأنا أصوم ، حيث أشهد الهلال ، أو يكمل العد من شعبان ... »

* * *

صمت ، لأن الصائمين جميعا كأنهم — حين يسمعون الأذان — أسرة واحدة على مائدة الافطار ... وأصوم لأن التشريع أباح لي الفطر عند السفر ، وحين المرض ، ورخصه يوم الروع — خلف المدفع في ساحة القتال ... »

* * *

صمت لمزية البر باليتيم ، والعطف على المسكين ، والإحسان إلى المنكوب والمنبوذ ... وأصوم ، لأن أداءه مثوبة عظيمة ، والعجز عنه عقوبة محبة ، لأن المتهاون في يومه ، عليه أن يطعم ستين من المساكين ... صمت ، لأن الله رؤوف ببعض عباده فقال : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » . فعرفت أنه رحم الشيخ الكبير ، وأشفق على المرأة العجوز ، وأجرى الخير منهما إلى الفقير والمحروم ... وأصوم ، لأن الحرب — وهي أستاذ الاقتصاد — علمتني قوة الاحتمال فصبرت على طعام واحد من العدس والبول والمخلوط .

* * *

صمت ، لأن وزارة التموين ، شرعت الصيام المدي في هذه الأيام السود فحصدت الخبز بالدرهم ، والسكر بالجرام والزيت بالبطاقة ... وأصوم ، لأن جيوش الأزيمة ، احتلت الريف ، وكثائب الغلاء زحفت على الموظفين . والأزيمة حليفة الجوع ، والصوم هو الحرمان المشروع ... »

صمت ، لأن التعاليم التي جاءت من السماء ، ما برحت مطابقة لروح الاجتماع ، متمشية وفق سنن السكون في السلم والحرب ، وفي ظل العيش الرخيد ، أو أيام المحل الشديد . . .
وأصوم ، لأن في الصوم مراعاة على الحرمان في السنين العجاف ، وتدريباً على الظمأ للحارب في رمال الصحراء ، واستعداداً لما تأتى به الحياة من فجاءات السماء ، وتقلب الحداث . . .

صمت ، لأن في الصوم ذكرى لغار حراء ، واحتفاء بعيد ميلاد الإسلام ، وتحيية للبيادى السامية ، التي جاءت مع ابن الصحراء .
وأصوم ، لأن المرسوم العلوى ، الذى صدر فى السماء ليلة القدر ، من رمضان - أعظم بركة على الإنسانية ، من ١٤ يوليو أو ميثاق الاطلائطى .
صمت ، لأن أوله فرحة بالصيام ، وآخره فرحتان . عيد الفطر ، وعيد زكاة الاحسان . . .

وأصوم ، لأنه الفضيلة التي يستحيل فيها الرياء ، فلا رقابة على الافطار ، ولا اشتراك في أداء الصيام ، فالانسان وضميره والمرء ومولاه . .
صمت ، لأنه مظهر الروحانية والزهادة ، ورمز الخلاص من آثام المادة ، وتجرد عن الهوى الغوى ، وهدة للنفس الثائرة ، ورياضة - بين العام والعام - للروح المطمئنة ، واقتراب من الله ، وبعد عن لاحب الشيطان . . .

وأصوم ، لآتى آمنت بالعقل الاول ، والمشرع الاول ، وكأنه ينظر - منذ بداية الازل ، الى نهاية الابد - ينظر الى صوالح الانسان .

سبحانه ! قدر فأحسن التقدير ، وقضى فأحكم التدبير ! . . .
« ربنا إنك تعلم ما نخفى وما نعلن ، وما يخفى على الله من شيء فى الأرض ولا فى السماء »

من لهوات الضبا

للشاعر محمد هارون الخلو

تلوح إلى عيني فتبدو البشائر وصبح المنى بالروض ريان عاطر
رؤى في سرى الأحلام تبهج خاطري

وكم في نعيم الجلم يسعد خاطر
يكاد بها يزهو على الخلد مائس
ترف بها حول كإرف طائر
تغنى كما غنى الهزار بأبيكم
وأين من الغريد تلك القيائر
تلوح فلا تخفى عن القلب متجة
وتخفى فلا يبدو لعيني مسامر
هي السحر أو في السحر منها ملامح
فياليت شعري كيف تسمى الجآذر
إذا خلتها بات الفؤاد بنشوة
يلذ بها والجفن بالطيف حائر
وإن رحت أشكو الحب أو أرقب المنى

تجاذب قلبي في الأنين الضمائر
أميل إذا مال الأناام مع الكرى
إلى روضة فيها ترق العوابر
فأنشق منها النفع وهو معنبر
لعل فؤادي يئنها يتسامر
خيالي على متن السهابات ساهرا
وقلبي بألوان الصبابات زاهر
أحلق في أفق قصي ومسبح
يبيت به زهر المنى يتناثر . .
إذا ملكت نحو النور يمت مسرها
فأني لأخشي أن تضل البصائر
هو الحب يعشى كل عين مشرقه
ويسبي كما تسبي العقول المظاهر
حداء الهوى سحر يلذ ومتعة
يلين به في الناس فظ وغادر
يرقق إحساس الأناشي دائما
وبين حفافيه المنى تتكاثر
وأي امرئ يسى على شاطئ الهوى
فان له فيه جنى وأزاهر
لعمري لكان يطبع الحب من فتي
على خلق فيه تصان السرائر
لكم ذلل الإنسان حتى أذلة
وراح به والحب ناه وآمر
إذا قال: قال القلب سمها ونفذت
إشارات والوجد للمرء أسر

يكاد به المحبوب يحيا مؤلها
 (...) وفي الأضلاع حبك جذوة
 عرفتك أنثى فيك أطفاف جنة
 تنادينني في الصبح والفجر ثامل
 وتصفين حولي من لحونك نغمة
 بنات الدجى في أفقها مشرئبة
 مزجت بخمر الجفن خمر آمن المني
 وعينك أى السجر يلح فيهما
 لى الويل منها كيف يارب صورت
 فلما نظرت البدر أكمل صورة
 ومعنى له فى النفس أنفاح لذة
 وسيال كهراب له أى هزة
 خلدت إلى فى الهوى أنشق المني
 يرانى أصحابى فلا يذكروتنى
 فيارفتنى مهلاً حنانيك اذكروا
 ينامون ليل والضحى حول مرقدى
 لقد هدنى شجوى وكم قض مضجعى
 وليس إلى قلبى وفى ومخلص
 شكوت إليها الوجد والقلب هائم
 جنانا زفير الشوق يحرق أضلعى
 أذوب على لفح الأسى لهف مدنف
 فقلت لها أنت التى خف خافقى
 سلبت فؤادى والنهى والهوى كما
 يجاذبنى أنى أروح واغتدى
 سلى الليل غنى كيف بت تعودنى
 تقدم لى كاسات شجو وحسرة
 فكيف يدين المرء والقلب كافر
 وحر هجير من تجنيك ساعر
 وقد كان لى فيها هزار مهاجر
 وطير الهوى فى لذة الخلد ساكر
 أظل بها فى وحدتى أتذاكر
 وأنت على أفقى يناغيك شاعر
 على شفة فيها تنام النواظر
 وخداك والأهداب ثم المهاجر
 لقد بت لاتحلو لدى الحرائر
 يزينه خال من الحسن ساحر
 ترف بها تلك الأمانى البواكر
 بروحى ودنيا طيبتها العواطر
 به وخمار الحب خاف وظاهر
 بغير حديث فيه يغتاب فاجر
 إذا شئتم من قد عنته الزوافر
 وشجوى حديث عندهم وتبادر
 سهاد وما أدرى لآى أصابر
 وليس إلى ضعفى معين وناصر
 فقالت وبنى منه أسى وهواجر
 ودنياى فيها ضجة ، وتأمّر
 يموت وفى جنبيه تهذى المشاعر
 إليها وفى خديك تحلو المناظر
 ترين له فى كل لمح ظواهر
 وترسل شكواها إليك الحناجر
 جدود من البؤسى هناك عواثر
 أنادم فيها طيفها وأعاقر

خمار من الآهـام يطوى نواظرى
 رغبـت عن الأحزان يوما و ليلة
 يناغمـنى فى حـندس الليل أخرس
 فأسمع أنغامى على شاطئ البلى
 أحن إلى من كنت أرفعى لعهدـها
 وأهـتف حتى تسمع النوح غادق
 وتبعث كالأطيار أى ملاحـن
 فأهـى إليها أتى أى مدنف
 سلاما إليها كلما حـن بـلبـل
 وكم ليلة بتنا يحاذى مقامها
 يلوح ويخفى ظله من أمامنا
 فتغمزنى سعدى وتبكى صبا بـة
 فأمسك عن قولها ويحـ حـبنا
 يقول لى العذال هل لك غيرـها
 وكل فؤاد عابد من أحبه
 نعمنا بهذا الحب حتى ترنمت
 وقد أورقت أيامنا وشبابنا
 ويجمـضنا فى الليل إيناس مجلس
 تراق علينا جمـة قدسية
 ويشملنا طيب من الروح فاعـم
 فان ذكروا أخبار ليلي وقيسـها
 يسـلوننى والليل قد فاض روحه
 وهل يعرف السـلوى فؤاد مدله
 فيشكـو إلى الافلاك حبا مبرحا
 وكم خط بالدمع السخين شكـاية
 سلام على الدنيا سلام على الهوى
 فتبلى من الآلام تلك النواظر
 وبـت وفى جنـبى يهـتف زامر
 وتصرخ من حولى الدنا والأداهر
 تفرقها الآهات وهى بجامر
 وأصـبوا لها والصبح ريان زاهر
 فتتقرئ والجفن نعسان خادر
 تسر بها أضلاعها وتجاهر
 وأبـكى فيهمى دمعى المتقاطر
 إلى إلفه والصبح للضوء ناشر
 مقامى وحولنا الرقيب المحاذر
 وقلـبى بشوقى والكآبات عامر
 أيفضـحنا هذا الغوى المداور
 وتفهم منى رغبـتى إذ أشاور
 فى الحى أشباه لها ونظائر
 ودير الهوى فيه تقام الشعائر
 أحاسيس لاترقى إليها المشاعر
 أماليد تشدو فى ذراها العـصافـر
 تروق نكات بينه . . . ونوادر
 تفيض بها تلك العيون السواحر
 يطوف به من لاعج الشوق زائر
 فى القلب لفح من أسى الحب ثائر
 ونهر الدجى فى صفحة المكون غائر
 له فى ذرا الأكوان يسرح خاطر
 وأجفانه بين الليالى هوامر
 تسجلها طى القرون الأعاصـر
 إذا كنت فى وجدى بروحى أقامر

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣ - ٤٦	النقد فى الادب العربى
	للاستاذ السباعى بيومى وكيل كلية دار العلوم
٤٧ - ٥١	تضافر المستشرقين والمصريين
	للاستاذ عبد العزيز مزروعى الازهري المدرس بالمدارس الثانوية
٥١ - ٦٦	كيف نشأ الوزن والقافية
	للاستاذ أحمد محمد الحوفى المدرس بكلية دار العلوم
٦٧ - ٧٣	خالد بن يزيد بن معاوية
	للاستاذ عبد الرزاق حميدة المدرس بكلية دار العلوم
٧٤ - ٧٦	صمت وأصوم
	للاستاذ خلف القاضى المدرس بالمدارس الثانوية
٧٧ - ٧٩	من لهوات الصبا
	للشاعر محمد هارون الخلو